دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس

تحرير

د. محسن محمد صالح

المشاركون

د. إبراهيم أبو جابر

أ. إبراهيم عبد الكريم

د. بديع العابد

د. رياض حمودة ياسين

د. سامي الصلاحات

د. سلامة الهرفي البلوي

د. عبد الجبار سعيد

أ. عبد الله كنعان

أ. فادي شامية

د. محمد أكرم العدلوني

د. محمد عمارة

د. محمد عيسى صالحية

أ. محمود عواد

د. ناجح بكيرات

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩

الفصل السادس

المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس

(الجذور التاريخية والتحديات الصهيونية)

المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس

د. سلامة الهرفي البلوي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القدس حبل وريد الأمة، وعاصمة وعيها، ورمز عزتها، ومأزر طائفتها المنصورة إلى يوم الدين، وقبل هذا وذاك هي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومنتهى مسرى المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومنطلق معراجه إلى سدرة المنتهى، ومدينة الأنبياء التي درج على ثراها إبراهيم وإسماعيل وإسحق وداود وسليمان وزكريا ويحيى عليهم السلام، وفيها تكلم عيسى في المهد، ونزلت عليه مائدة من السماء، ومنها رفع وإليها يعود في آخر الزمان[1]. لذا، وضعتها الأمة بين أهداب العيون، وفدتها بالمال والبنين، وتغنى بعشقها الشعراء، ورقصت بذكرها قلوب الزهاد والمتبتلين، فكانت محجاً للعلماء، وقبلة لطلبة العلم، وموطناً للزهاد والمرابطين على مرّ فترات التاريخ[2].

إن الحديث عن المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس إبان الحكم الإسلامي يقدم لنا تجربة فريدة في مجال التعايش بين الأديان السماوية الثلاثة، فلأول مرة في تاريخ المدنية الطويل تجاورت المساجد مع الكنائس النصرانية والكنس اليهودية في جو من المحبة والسلام، ولأول مرة في التاريخ أيضاً فتحت هذه المدينة المقدسة ذراعيها لكل الأجناس والأديان والطوائف للعيش فيها وممارسة شعائرهم بكل حرية.

لقد عاش في المدينة المقدسة عشرات الأجناس والطوائف والمذاهب والأديان والفرق، فكان هناك المسلمون بمذاهبهم الفقهية المتعددة، فضلاً عن أكثر من سبعين طريقة صوفية، وكان هناك الأرمن، والسريان، والأقباط، والأحباش، والموارنة، واليونان، والطليان، والروس، والإسبان، والعرب، والبربر، والفرس، والهنود، والأكراد، واليهود، والكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت، لا بل لا يكاد صقع من أصقاع العالم إلا ومنه مجاورين في القدس ولهم فيها أوقاف تعليمية، فأي تعايش وتواصل وتعاون بين الأديان والأجناس مثل هذا؟ وأي تسامح وعدالة عاشتها المدينة تحت راية الإسلام؟.

ولعل التعايش يصل ذروته عندما يعهد النصارى للمسلمين بالإشراف على أقدس وقفية عندهم، ألا وهي كنيسة القيامة، حيث اتفق النصارى منذ 800 عام وحتى اليوم على إسناد مهمة الإشراف على هذه الكنيسة لأسرتين مسلمتين، هما: أسرة نسيبة وأسرة آل جودة، إذ تحتفظان بمفتاح الكنيسة وتقومان بفتحها والإشراف على شؤونها العامة.

إن الحديث عن المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس في هذه اللحظة التاريخية التي تتعرض فيها القدس لأشرس عملية نهب لتراثها، ومسخ لهويتها، وتزييف لتاريخها من قبل الصهاينة المحتلين؛ هو حديث عن معقل من معاقل الصمود والتحدي، ورمز من رموز شموخ الأمة أمام الظلم والطغيان، إنه حديث عن الجذور العربية الإسلامية للمدينة المقدسة الضاربة في أعماق التاريخ، تلك الجذور التي استعصت على كل أشكال الاجتثاث والاستئصال، واستمرت تمد عروق الأمة بالعزة والتضحية، وتبعث الأمل والهمة في الأجيال جيلاً بعد جيل.

إن التاريخ يحدثنا بأن حال القدس هو تجسيد لحال الأمة، فإذا كانت القدس بخير فالأمة بخير، وإذا كانت أسيرة فالأمة كلها كسيرة، لا بل إن الموقف من قضية القدس هو الذي يشير إلى إخلاص هذا وخيانة ذاك، فمن خانها خان الدين والأمة ومن نصرها نصر الدين والملة. كما يحدثنا التاريخ أيضاً بأن جرح القدس كان دوماً هو المحرك ليقظة الأمة، والدافع لمراجعة حساباتها، وتلمس مواطن التقصير، وتلافي عوامل الوهن والضعف والفرقة، فكما قال الشاعر الياس أبو شبيكة:

رب جرح قد صار ينبوع شعر تلتقي عنده النفوس الظوامي

إن هذه الدراسة تهدف إلى سبر غور تجربة المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس، والحفر في مكوناتها وآلياتها التي تسمح في تفعيلها وإعادة الاعتبار لها، واستحضارها فكراً وتصوراً عند الحديث عن واقع المؤسسات التعليمية في القدس اليوم، مما يجعلنا أكثر وعياً للتحديات التي تواجهها، والعوائق التي تعترضها؛ من أجل تذليلها من خلال الاستفادة من الدرس التاريخي، إذ لا تستقيم صورة الحاضر إلا بالماضي، ولا ينبني المستقبل إلا بهما معاً. وبعبارة أخرى، جاءت هذه الدراسة محاولة متواضعة لاستنطاق تجربة القدس في مجال المؤسسات التعليمية والمكتبات، واستحضار عناصرها المؤثرة في مسيرة الأمة منذ أن فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحتى اليوم على سبيل الإجمال والاختصار، وذلك من خلال محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

س 1: هل كانت القدس، كما يدعي الصهاينة ومن حذا حذوهم، مهملة ومهمشة طوال القرون الأولى حتى أعاد لها صلاح الدين الأيوبي الاعتبار بعد تحريرها من الصليبيين؟

س 2: ما الدور الحضاري الذي قامت به المؤسسات التعليمية والمكتبات للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للمدينة المقدسة؟

س 3: هل توجد علاقة بين الوقف وازدهار المؤسسات التعليمية في القدس؟

س 4: ما أبرز التحديات التي تواجهها المؤسسات التعليمية في القدس اليوم؟ وما هي ملامح المشروع الصهيوني في "أسرلة" تلك المؤسسات؟

س 5: كيف يمكننا أن نسهم في دعم المؤسسات التعليمية في القدس؟

وقد جاءت الإجابة عن هذه التساؤلات في خمسة مباحث؛ تناول الأول منها تاريخ المؤسسات التعليمية في القدس، حيث تمّ تسليط الضوء على خصائص تلك المؤسسات، وأهم مخرجاتها. وأُفْرِدَ المبحث الثاني للواقع المأساوي للمؤسسات التعليمية في القدس اليوم، من خلال التركيز على وضع المباني المدرسية والغرف الصفية، وأوضاع المعلمين والطلبة، ومشروع "أسرلة" المؤسسات التعليمية والمتاحف إلى جانب نهب المخطوطات. وتحدث المبحث الثالث عن تاريخ المكتبات العربية العامة والخاصة ومكتبات المدارس والزوايا، وجُعِل المبحث الرابع لمكتبات الأديرة والكنائس والنوادي والجمعيات، وخُصِّص المبحث الأخير لنظام المكتبات، حيث سلط الضوء على الجهاز الإداري والفني للمكتبات، ونظام الاطلاع والاستعارة، ونظام التزويد، وقد ذيلت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها الدراسة.

أولاً: المؤسسات التعليمية:

1. لمحة عن تاريخ المؤسسات التعليمية في القدس:

لقد دأب الصهاينة، ضمن مشروعهم الهادف لتزييف الوعي العربي والإسلامي والعالمي بشأن مكانة القدس في الوجدان العربي والإسلامي، ومركزيتها في الفعل الحضاري للأمة؛ إلى ترويج شبهة مفادها بأن القدس لم تكن في بؤرة اهتمام الأمة في القرون الهجرية الخمسة الأولى، بدليل أن التأليف في فضائلها لم يظهر إلا بعد أن حررها

صلاح الدين الأيوبي من أيدي الصليبين سنة 583هـ/1187م حيث ازدهرت المؤسسات التعليمية والأوقاف التي تغذيها وتساندها في أداء مهامها[3]، فهل تستقيم وتثبت هذه الدعوى أمام حقائق التاريخ؟.

إن القدس في الوجدان الحضاري الإسلامي ليست ككل المدن فحبها عبادة، وزيارتها سُنّة، والدفاع عنها فرض، والإيمان بعروبتها وحق المسلمين فيها عقيدة عند كل مسلم ومسلمة، فكيف يعقل أن تهمش طوال 500 سنة؟.

لقد فضح القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب التفسير والفقه والتاريخ والرحلة هذا الزور والبهتان، وأوضحت هذه المصادر بأن القدس كانت عروس المدائن، وبؤرة الاهتمام، ومحل الاحترام والتبجيل عند الأمة أفراداً وحكاماً، وأي شرف بعد شرف تكريم رب العزة لهذه المدينة بجعل اسمها قرآناً يتلى آناء الليل وأطراف النهار فقال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (سورة الإسراء: آية 1)، وأي تقدير أكثر من أن تتحول زيارة هذه المدينة إلى لون من ألوان الطاعة والعبادة حيث قال صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى المسجد الأقصى وإلى مسجدي هذا"[4]، كما أن الإقامة فيها لون من ألوان الرباط في سبيل الله. فكيف تكون مهمشة وكتب التفسير والحديث والفقه قد أسهبت في الحديث عن فضلها وأجر الصلاة في مساجدها، وأحكام الإقامة فيها والإهلال للحج منها والمرابطة فيها.

وأي شرف لهذه المدينة أكثر من زيارة الخليفة الراشدي الثاني عمر رضي الله عنه لها مع كبار الصحابة، أمثال: أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وبلال بن رباح، وخالد بن الوليد، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبو هريرة، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم جميعاً، حتى أن كتب التراجم أحصت أكثر من 44 صحابياً زاروا القدس. واستمر تقاطر الصحابة والتابعين وعلماء الأمة وزهادها لزيارة القدس والإقامة فيها، فأوقفوا الأوقاف، وأنشأوا المرافق، وتركوا بصماتهم الثقافية والإنسانية التي ما يزال بعضها قائماً إلى يومنا هذا[5].

لقد كانت القدس محور اهتمام حكام المسلمين منذ أن فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فمنها أعلن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه خلافته، وفيها تمت مبايعة

الخليفة سليمان بن عبد الملك بالخلافة، وتحت قبة الصخرة المشرفة كان عمر بن عبد العزيز يحاسب عماله، وعلى بناء المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة أنفق عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك الأموال الطائلة لتكون تلك المساجد منارات علم تشع على العالم الإسلامي، كما زارها من خلفاء الدولة العباسية: أبو جعفر المنصور والخليفة المهدي والمأمون[6]، وكل ذلك كان في القرون الثلاثة الهجرية الأولى، فأين الإهمال والتهميش؟!.

أما بالنسبة لجهود علماء الأمة في خدمة تاريخ هذه المدينة المقدسة فهي كثيرة ومتعددة الجوانب والاهتمام، ولعل تفسير مقاتل بن سليمان ت 150هـ/767م من أقدم التفاسير التي تعرضت لذكر مدينة القدس عند تفسير سورة الإسراء. ويُذْكَر أن العلامة الرملي، الوليد بن حماد من أعيان القرن الثالث الهجري، قد كتب كتاباً في فضائل القدس. كما توسع المقدسي، محمد بن أحمد ت 380هـ/990م صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" من أعيان القرن الرابع الهجري في الحديث عن بيت المقدس. ثمّ هناك أبو المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم الذي كتب في منتصف القرن الخامس في فضائل القدس، وقتل العلامة الرملي، أبو القاسم على يد الصليبيين عندما دخلوا القدس سنة 492هـ/1099م قبل أن يتمّ كتابه عن تاريخ القدس وفضائله[7].

وقد بلغ التأليف في فضائل القدس ذروته في القرن السادس الهجري بعد تحرير صلاح الدين الأيوبي للمدينة من براثن الغزاة الصليبيين سنة 583هـ/1187م، وهذا شيء طبيعي لأن الاحتفاء بهذا التحرير يقتضي تخليد فضائل تلك المدينة التي بذلت المهج والأرواح من أجل تحريرها، ومن أبرز تلك المؤلفات: فضائل القدس، لابن الجوزي ت 597هـ/1201م، والجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى، لابن عساكر القاسم بن علي بن الحسين ت 600هـ/1204م، ومفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس للقرشي عبد الرحيم بن علي ت 625هـ/1228م، وفضائل بيت المقدس، للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي ت 643هـ/1246م وباعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس، لابن الفركاح إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري ت 729هـ/1329م، ومثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، للمقدسي أحمد بن محمد بن سرور ت 795هـ/1393م، وإتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي شمس الدين محمد، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين العليمي الحنبلي عبد الرحمن بن محمد ت 928هـ وغيرها[8].

وأخيراً فإن كتب التراجم تحفل بأسماء عشرات العلماء وأعيان الأمة الذين لم ينقطعوا عن زيارة القدس في القرون الخمسة الأولى، ناهيك عن عشرات المنجزات الحضارية التي أقاموها وما يزال بعضها قائماً حتى اليوم، وهذا كله يدحض دعاوى المغرضين بشأن مكانة القدس في وجدان الأمة وتاريخها منذ أن دخلت في عهدة المسلمين.

2. خصائص المؤسسات التعليمية في القدس:

إن المتأمل لتاريخ المؤسسات التعليمية في القدس في حقب التاريخ الإسلامي المتعاقبة يخلص إلى رسم مجموعة من الخصائص التي انفردت بها هذه المؤسسات، بل وتميزت بها عن كثير من المدن الإسلامية، ومن أبرز تلك الخصائص:

أ. عالمية المؤسسات التعليمية:

لقد أصبحت القدس بعد الفتح الإسلامي موئلاً للقراء ورواة الحديث الشريف، ومقراً للزهاد وطلاب العلم، ومزاراً للتقاة؛ فقصدها المسلمون من كل حدب وصوب لطلب العلم أو المجاورة أو الزيارة، وبعد بناء المسجد الأقصى فيها وفد إليها طلبة العلم للدراسة في مدارسها، من مراكش حتى السند ومن سمرقند إلى مصر، فمن علماء القرن الخامس الهجري على سبيل المثال: الكازروني (فارس)، والصاغاني (مرو)، وإسماعيل بن علي الاسترابادي (جرجان)، وأبو الحسن البصري (البصرة)، وقد ذكر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي أنه كان في المسجد الأقصى في أواخر القرن الخامس الهجري 360 عالماً يدرس فيه.

ومن علماء القرن السادس: محمد بن الوليد الطرطوشي (طرطوشة – الأندلس)، وأبو بكر محمد بن أحمد الشاشي (الشاش – بلاد ما وراء النهر، طشقند اليوم)، وأبو حامد الغزالي (طوس – أوزبكستان اليوم)، وأبو بكر بن العربي (الأندلس)، وأبو عبد الله الديباجي العثماني (مكة)، وضياء الدين بن عيسى الهكاري (الموصل)، وابن جهبل، مجد الدين طاهر (حلب)، وياسين بن سهل القابسي الخشاب (قابس – تونس).

ودرس في مدارس القدس من علماء القرن السابع الهجري، ابن جماعة، برهان الدين إبراهيم (حماة)، وأبو عبد الله محمد العبدري (المغرب)، وعبد الرحيم بن عمر الباجريقي، وشهاب الدين محمد خليل الخويي (أذربيجان)، وابن انقيب، محمد بن سليمان بن الحسن (بلخ – أفغانستان)، ورشيد الدين الصوري (صور – لبنان)، وابن عساكر عبد الرحيم محمد بن الحسين (دمشق).

ووفد إلى القدس من الحبشة العلامة الزيلعي، ومن بخارى العلامة البخاري، محمد بن بهاء الدين وذلك في القرن الثامن، وهكذا استمر تدفق الطلبة والعلماء من كل أرجاء العالم الإسلامي إلى القدس في القرون التالية، مما أكسب معاهدها العلمية ومدارسها صبغة العالمية[9].

وفي المقابل كانت القدس أيضاً مهوى لأفئدة العديد من النصارى من مدن الشرق المختلفة، حيث كانوا يقصدونها لزيارة كنيسة القيامة وكنيسة المهد والأماكن المقدسة في فلسطين[10].

ولعل مسميات مدارس القدس تشي أيضاً بعالميتها لأنها تصرح بأسماء من أسسوها من أبناء العالم الإسلامي، فهناك المدرسة الصلاحية، والأشرفية، والفارسية، والموصلية، والعثمانية والخاتونية، والدوادارية، والطيلونية، والظافرية، والتنكزية، وغيرها[11].

ب. وقفية المؤسسات التعليمية:

إن المؤسسات التعليمية في القدس كانت مؤسسات وقفية تزدهر بازدهار الوقف وتضعف بضعفه، فنظام الأوقاف كان يمثل العمود الفقري لتلك المؤسسات. ولعل المتأمل لوثائق المتحف الإسلامي في القدس يجد 750 وثيقة معظمها وقفيات أوقفها أصحابها على المؤسسات الدينية والثقافية[12]، كما ويدلنا سجل الأراضي العثمانية رقم 602 أنه يوجد 28 قرية منها 22 قرية تابعة لغزة و14 مزرعة وحمام ودكاكين ومعصرة وخان وفرن بغزة كانت كلها موقوفة من قبل السلطان المملوكي "قايتباي" على المدرسة الأشرفية التي تقع في الرواق الغربي لحرم بيت المقدس، لا بل إن هناك من يذكر أن هناك 52 عقاراً كان موقوفاً على هذه المدرسة[13].

ومن المدارس التي كانت غنية بأوقافها: المدرسة الفارسية، والمدرسة التنكيزية، والمدرسة الداودارية؛ حيث كانت قرى طولكرم، وبيت نبالا، وحجلا، وطبرس، وعين قينية قرب رام الله، إلى جانب العديد من الخانات والطواحين والدكاكين موقوفة عليها[14]. وهناك أيضاً المدرسة الصلاحية التي أوقف عليها صلاح الدين الأيوبي أوقافاً سخية كان منها سوق العطارين في القدس، ووادي سلوان، وحمام عام وخان وبئر أيوب وقرية نعليا وغيرها[15].

وتكاد معظم أرض فلسطين أن تكون وقفاً على المؤسسات التعليمية، وعلى رأسها المسجد الأقصى، حيث كان ينفق من هذه الأوقاف، على سبيل المثال في سنة 1058هـ/1648م، على 240 محراباً وسبع مدارس للحديث وعشر للقرآن وأربعين مدرسة وخانقاه لسبعين مدرسة صوفية، فضلاً عن 800 إمام وواعظ يعملون في الحرم والمدارس، وخمسين مؤذناً، وعدد كبير من مرتلي القرآن الكريم للمصاحف الموقفة على الأقصى، والتي منها: ربعة سلطان المغرب أبو الحسن المريني، الذي عين لقراءتها عندما أوقفها سنة 745هـ/1344م صباح كل يوم 18 نفساً منهم 15 من حفاظ القرآن الكريم، على أن يكونوا من المغاربة المالكيين وخادمين من المسلمين وأوقفت على ذلك عدة مرافق في مدينة الرملة الفلسطينية[16].

في حين أحصى مؤرخ القدس وقاضيها مجير الدين العليمي الحنبلي مدارس القدس في سنة 900هـ، فبلغت ما يزيد على الخمسين يأتي على رأسها المدرسة الصلاحية والتنكزية والأشرفية، أما الرحالة التركي أوليا جلبي الذي زار القدس سنة 1081هـ/1671م فذكر أنه وجد أربعين مدرسة، وعشر دور للقرآن الكريم، وسبع دور للحديث، و18 سبيلاً[17].

لقد قدمت أوقاف القدس التعليمية خدماتها لشريحة كبيرة من الطلبة من مختلف أرجاء المعمورة، من المغرب حتى السند ومن سمرقند إلى مصر، فضلاً عن بلدان أوروبا المختلفة فكانت بحق عالمية في أهدافها إنسانية في خدماتها.

ولعل وقف تكية خاصكي سلطان الذي أوقفته زوجة السلطان سليمان القانوني سنة 959هـ/1551م من أهم الأوقاف الخيرية في فلسطين على العموم والقدس على الخصوص، التي دعمت طلبة العلم، حيث كانت تشتمل على مطبخ يوزع منه الطعام وعلى مسجد ورباط ومدرسة، وقد انتشرت أوقاف التكية في خمسة سناجق من بلاد الشام، وبلغ عدد القرى والمزارع الموقوفة على التكية 34 قرية ومزرعة[18]، فكانت مؤسسة اجتماعية متكاملة تقدم الطعام والمأوى والتعليم.

ج. ظاهرة الاهتمام بتعليم الأيتام في مدينة القدس:

انتشرت المدارس والدور الخاصة برعاية الأيتام في القدس، فكانت تخصص مرتبات شهرية للأيتام في المدارس الإسلامية الوقفية فضلاً عن الكسوة، كما هو الحال في المدرسة الباسطية للأيتام التي كان يتقاضى فيها الطالب 15 درهماً شهرياً في سنة 834هـ/1430م، وكان يُعطى اليتيم في عيد الفطر ثلاثين درهماً بدل كسوة[19].

ومن المدارس التي قدمت خدمات جليلة للأيتام؛ المدرسة التنزيقية التي بناها نائب حاكم سورية سنة 728هـ/ 1328م، إذ احتوت على أربع قاعات للمحاضرات والصلاة، فضلاً عن خانقاه لـ 12 متصوفاً، ومدرسة للأيتام، ومن ثم كانت الدراسة والصلوات والمدائح الصوفية وأعمال البر تمارس من تحت سقف واحد، كما اشتهرت في القدس دار الأيتام الإسلامية التي ما تزال قائمة حتى اليوم[20].

ولم تقتصر رعاية الأيتام على أوقاف المسلمين بل تعدتها إلى مختلف الطوائف الدينية، فكانت مدرسة "طالثيا قومي" الألمانية ميتماً خاصاً للبنات، وقد أدت خدمات كثيرة لسكان فلسطين. كما قامت "كلية شميدت" للبنات والتي تأسست سنة 1304هـ/1886م من قبل الجمعية الألمانية الكاثوليكية للأراضي المقدسة German Catholic Society of the Holy Land، وغايتها تعليم البنات العربيات وتدريبهن على الشؤون المنزلية حتى مستوى الثانوي العالي، وكان عدد الطالبات سنة 1365هـ/1945م يتجاوز 450 طالبة تعيش حوالي سبعين طالبة منهن في القسم الداخلي.

وهناك أيضاً دار الأيتام السورية التي أقامها القس يوحنا لودفيغ شنللر Johann Ludwig Schneller بتاريخ 1860/11/11 اعتماداً على المساعدات التي كانت تأتي إليها من ألمانيا، وكان طلابها من الفتيان والفتيات الأيتام، وقد اشتهرت بتعليم الصناعات كالنجارة والحدادة والخياطة والطباعة، وصنع الخزف وشغل الأحذية [21].

د. الاهتمام بالعلماء:

كان أهالي القدس لا يبخلون بأموالهم على العلماء الذين يفدون إليهم، وكانوا يشجعونهم على التدريس من خلال منحهم الجوائز المالية، فقد روى مجير الدين الحنبلي في كتابه الأنس الجليل، أن العلامة بكر بن سهل الدمياطي ت 289هـ/902م، المحدث والمفسر المعروف قدم إلى بيت المقدس، فجمعوا له ألف دينار حتى روى لهم التفسير.

هـ. التركيز على جودة التعليم:

من أجل المحافظة على جودة التعليم كانت مدارس القدس لا تقبل أعداداً كبيرة في صفوفها، لإتاحة الفرصة لتواصل الطالب مع مدرسه، ناهيك عن أن المدارس في القدس كانت تتكفل بكل نفقات الطلبة الدارسين ليتفرغوا للتحصيل، ففي الغالب لا يزيد عدد الطلبة في المدرسة الواحدة عن سبعين وفي المتوسط يتراوح عددهم بين 15-25 طالباً.

فعلى سبيل المثال تضمنت وقفية المدرسة الأشرفية مخصصات سبعين طالباً، والمدرسة المعظمية كان فيها 25 طالباً. والتنكزية 15 طالباً، ودار الحديث التنكزية 20 طالباً، والطازية 17 طالباً وكل ذلك في سنة 984هـ[22].

وكانت تتراوح مرتبات الطلبة الشهرية ما بين 7.5-45 درهماً بالإضافة إلى نصف رطل من الخبز، فعلى سبيل المثال: قسمت المدرسة التنكزية مرتبات الطلبة إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى للطلبة المتقدمين في الدراسة فيمنح 20 درهماً شهرياً ونصف رطل خبز يومياً، أما الطالب المتوسط فيمنح 15 درهماً شهرياً ونصف رطل خبز يومياً، ويعطى للطالب المبتدئ عشرة دراهم شهرياً ونصف رطل خبز يومياً[23].

أما المدرسة الأشرفية فكانت تمنح طلابها 45 درهماً شهرياً، في حين كانت المدرسة السلامية (الموصلية) تمنح طلابها 7.5 درهماً شهرياً، والحسنية كانت تمنح طلابها عشرة دراهم شهرياً بالإضافة إلى ربع رطل خبز يومياً. وكما هو معلوم فإن تفاوت مرتبات الطلاب يتفاوت بتفاوت الأوقاف الموقفة على تلك المدارس وما تدره من ربح، فكلما زادت الأوقاف المخصصة لمدرسة من المدارس زادت رواتب طلابها[24].

وقد اشترطت المدرسة التنكزية بأن تكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات كما جاء في وقفيتها[25]، إلا أن الغالب أن مدة الدراسة تطول أو تقصر في معظم المدارس حسب هدف الطالب الوافد للقدس أو المقيم فيها، فهي مرتبطة بالانتهاء من المنهاج المخصص لهذا الفن أو ذاك.

لقد أدركت مدارس القدس بأن إكرام المدرس يمثل ركناً مهماً من أركان العملية التربوية وأساساً من أسس تجويد مخرجات التعليم، لذا نجد السلاطين والأمراء يحرصون على اختيار كبار العلماء ومشاهير الفقهاء لتولي مهام التدريس، وفي الوقت نفسه كانوا يخصصون لهم رواتب تكفل لهم العيش بكرامة. إلا أن الملاحظ أن رواتب المدرسين كانت تتفاوت حسب مكانة المدرس، وغنى وقفية المدرسة، ففي المدارس الكبرى كانت الرواتب مجزية. فناظر المدرسة الأشرفية على سبيل المثال كان يتقاضى 600 درهم شهرياً، وكان شيخها يتقاضى 510 دراهم في القرن التاسع الهجري، في حين كان راتب المدرس في المدرسة التنكزية 60 درهماً فضياً إلى جانب ثُلُثَي رطلٍ من الخبز يومياً، وفي سنة 837هـ كان راتب ناظر المدرسة الحسنية مئة درهم في الشهر ورطل خبز يومياً ورطل ونصف من الدبس كل شهر[26].

و. دور المؤسسات الثقافية في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية:

إن المؤسسات الثقافية المقدسية لعبت دوراً مهماً في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، حيث كانت قلعة شماء في وجه محاولة الصليبيين مسخ وجهها الحضاري إبان الحروب الصليبية، فحافظت على تدريس العلوم العربية فحفظت اللغة والدين.

ز. التنظيم في المؤسسات التعليمية:

إن المؤسسات التعليمية في القدس كانت غاية في التنظيم، ولقد كانت مدارس القدس على وعي تام بأهمية الخدمات المساندة للعملية التعليمية فكان هناك، إلى جانب نظار المدارس والمدرسين، نواب تدريس (معيدون)، وخَزَنَة (أمناء مكتبة) وكَتَبَة، وجُباة وبوابون، وفراشون، وكتاب لمراقبة الحضور والغياب، ومؤدبو أيتام، وفي بعض الأحيان كان عدد الموظفين في المؤسسة التعليمية يفوق عدد الطلبة. فقد ذكر الرحالة التركي أوليا جلبي أن هناك 800 إمام وواعظ يعملون في الحرم والمدارس المجاورة، وكان هناك خمسون مؤذناً، وعدد كبير من مرتلي القرآن الكريم وكلهم يتقاضون مرتبات، إلى جانب وجود إمام ومؤذن لإقامة الصلوات الخمسة في كل مدرسة[27].

وقد ألحقت بمدارس القدس مساكن للطلبة والمدرسين لتكون مقراً دائماً لإقامتهم حتى ينهوا دراستهم، كما ضمت معظم المدارس خزانة كتب احتوت أمهات الكتب في مختلف الفنون[28].

ح. الخدمات التعليمية:

كانت الخدمات التعليمية في القدس تتركز في المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة والمساجد الصغيرة الأخرى، ثمّ المدارس والخوانق والزوايا، ثمّ الكتاتيب، ثمّ في توفير الكتب والمكتبات.

ط. مجانية التعليم:

إن جميع المدارس في مدينة القدس كانت مجانية ومفتوحة للجميع بغض النظر عن اللون أو الجنس أو المذهب.

ي. طبيعة المؤسسات التعليمية:

لقد كانت مؤسسات ذات حس إنساني مرهف تحرص على تهذيب مشاعر طلابها من خلال احتكاك طلابها بالأيتام الذين كانوا يدرسون بكتاتيب ملحقة ببعض المدارس والمساجد.

ومن أجل غرس فضيلة الرفق بالحيوان في نفوس الطلبة كان ينشأ بجوار بعض المدارس حوض سبيل ترده الدواب، وسقاية يشرب منها الناس أيضاً[29].

ك. التعايش في المؤسسات التعليمية:

إن المؤسسات التعليمية في القدس إبان الحكم الإسلامي تمثل تجربة فريدة للتثاقف بين الأجناس والتعايش بين الأديان على المستويين المحلي والعالمي.

3. من مخرجات مؤسسات القدس التعليمية:

أ. تخريج الآلاف من العلماء الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة الأمة الثقافية، فقد ذكر الأستاذ مصطفى الدباغ في موسوعته "بلادنا فلسطين" مجموعة كبيرة منهم، وكذلك احتفت بهم كتب التراجم الأخرى أمثال كتاب "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر" لمحمد المحبي، وكتاب "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر" لمحمد خليل المرادي، بالإضافة لما ذكره مؤرخو القدس، وعلى رأسهم مجير الدين الحنبلي.

ب. أبرزت المؤسسات التعليمية تألق الجوانب الخيرة والإنسانية في أبناء الأمة، من خلال هذا الكم الهائل من الأوقاف التي خصصت للإنفاق عليها من قبل أهل الخير من الرجال والنساء، ومن العرب وغير العرب، ومن الخلفاء والسلاطين والولاة وقادة الجند والحكام والإداريين والعلماء.

لقد شملت الأوقاف برعايتها كل شرائح الطلاب والعلماء الآتين لهذه المؤسسات، إلى جانب رعاية الأيتام وأبناء السبيل والغرباء، وحتى الحيوانات التي يستخدمها الطلبة والعلماء وزوار القدس. فقد كان في مدينة القدس 240 محراباً و28 سبيلاً و16 خاناً وأكثر من 170 مكتبة ملحقة بمدرسة ومسجد وكتّاب، و70 زاوية صوفية كلها كانت تقوم على تلك الأوقاف[30].

ج. قدمت مدارس القدس نماذج لعلماء مبدعين في التدريس والإنتاج العلمي، فمنهم على سبيل المثال الإمام أبو حامد الغزالي، الذي درس في المدرسة الناصرية بباب الرحمة من أبواب الحرم الشريف والتي عرفت فيما بعد بالغزالية، حيث كتب الغزالي الرسالة القدسية في قواعد العقائد، وهي محاضراته التي ألقاها على طلابه في تلك المدرسة. ومن العلماء أيضاً ابن جماعة، عفيف الدين (شيخ الصلاحية)، والقدسي، جمال الدين العجمي ت 1001هـ/1593م المدرس

بدار الحديث، وولده محمد جمال الدين بن محمد العجمي ت 1055هـ/1645م المدرس في المدرسة العثمانية، والديري المقدسي، طه بن صالح نجم الدين ت 1087هـ/1676م الذي درس في المدرسة الفارسية، والسروري المقدسي، محمد بن حافظ ت 1089هـ/1678م المدرس بالمدرسة التنكزية والمأمونية، أما الموقت، أحمد ت 1171هـ/1758م فقد اختص كما يدل اسمه بالميقات في المسجد الأقصى، إلى جانب تدريسه في المدرسة الأفضلية، وتولى أبو اللطف القدسي، السيد عبد الرحيم ت 1104هـ/1693م رئاسة علماء القدس والتدريس في المدرسة العثمانية، وبهاء الدين بن عساكر ت 600هـ/1204م ابن المؤرخ المشهور الذي ألقى مادة كتابه الأنس في فضائل القدس على طلابه في مدارس القدس[31].

د. أسهم علماء القدس إسهاماً فاعلاً في التنمية الإدارية والعلمية، فتولوا الوظائف في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية، فعلى سبيل المثال تولى السيد موسى الخالدي قضاء عسكر الأناضول، والشيخ أبو السعود مفتي الشافعية الذي توفي في إسطنبول سنة 1228هـ/1813م، وهناك عدد كبير من علماء القدس ذهبوا للتدريس في إسطنبول وبورصة وقونية وأدرنة، وتولوا القضاء في أماكن بعيدة مثل صوفية والبوسنة وغيرها إبان الحكم العثماني[32].

هـ. أسهم علماء القدس وأبناؤها ممن تشربوا العلم والعزة من مدارس القدس في تنوير الأمة بأخطار الاستعمار، فعلى سبيل المثال الشخص الذي كتب المنشور الذي أذاعته الحكومة العثمانية في جنوب سورية لإثارة الشغب ضدّ الفرنسيين هو السيد موسى الخالدي ت 1247هـ قاضي عسكر الأناضول[33]، أما الشيخ محمد بدير ت 1220هـ الذي قال عنه الجبرتي: هو الآن فريد عصره في الديار القدسية يبدي ويعيد ويدرس ويفيد، هو الذي كتب قصيدة تقع في 157 بيتاً تهجو الفرنسيين وقائدهم، وتمدح والي عكا أحمد باشا الجزار[34].

و. تحصين القدس بالمساجد، فقد تمّ بناء الكثير من المساجد إدراكاً من أبناء الأمة لدور المسجد في تحصين هوية القدس وتأكيد عروبتها وإبراز مكانتها في حياة الأمة، ومن أبرز تلك المساجد: المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وجامع قبة موسى، وجامع المغاربة، وجامع كرسي سليمان، وجامع دار الأمام، وجامع خان الزيت، وجامع الخانقاه، وجامع القلعة، وجامع قنمبر، والجامع العمري، والجامع اليعقوبي، وجامع بني حسن، وجامع حارة الأرمن، وجامع الشيخ

لولو، وجامع البراق الشريف، وجامع خان السلطان، وجامع حارة النصارى، وجامع البازار، وجامع الزاوية النقشبندية، وجامع باب الغوانمة، وجامع حارة اليهود الكبير، وغيرها، وهذه الجوامع كلها تقع داخل سوار المدينة المقدسة، أما الجوامع التي تقع خارج السور فمنها: الجامع المسعودي، وجامع الشيخ جراح، وجامع وادي الجوز، وجامع حجازي، وجامع عكاشة، وجامع المطحنة[35].

ز. ازدهار المكتبات وتجارة الكتب، حيث وجد في القدس في الحقب الإسلامية المتعاقبة أكثر من 170 مكتبة ملحقة بمسجد أو مدرسة أو زاوية أو كتّاب تشتمل على آلاف الكتب[36].

ح. ازدهار الثقافة وتزايد عدد المثقفين، ويؤكد لنا ذلك المؤرخ والأديب العماد الأصفهاني حين وصف القدس في العصر الأيوبي بقوله: "فما ترى فيها إلا قارئاً باللسان الفصيح وراوياً للكتاب الصحيح ومتكلماً في مسألة... وذاكراً لحكم مذهبي وسائلاً عن لفظ لغوي ومعنى نحوي... أو ناشداً بنشيد..." وأكد هذا المعنى أيضاً الرحالة المشهور ابن بطوطة[37].

ط. تعدّ المؤسسات التعليمية اليوم، ممثلة بمدارسها العربية بمختلف أطيافها، قلعة المقاومة الأولى التي تذب عن عروبة القدس، وتقف سداً منيعاً أمام مخططات الصهاينة لتهويد الإنسان والأرض في ظلّ صمت عالمي وعربي وإسلامي جعل بدوي الجبل يصرخ قائلاً:

يا سامر الحي هل أشجتك شكوانا رق الحديد وما رقوا لبلوانا

ثانياً: واقع المؤسسات التعليمية في القدس:

إن الواقع المأساوي الذي تعاني منه المؤسسات التعليمية والثقافية في القدس اليوم، وما تواجهه من عمليات ممنهجة وخطط مدروسة لشل فعالياتها، وإلغاء دورها الحضاري والوطني في تعزيز الهوية، وتحصين الذات الفلسطينية من الاختراق الصهيوني، يذكرنا بالتمييز العنصري في جنوب إفريقيا، والاستعمار الفرنسي الاستيطاني في الجزائر، وبما قامت به النازية والفاشية والبلشفية من أعمال وحشية استهدفت الإنسان والمكان والهوية الثقافية، حيث أشعلت تلك الأيديولوجيات والعنصريات الحروب الكونية، وقتلت وشردت الملايين إلا أنها في نهاية المطاف هزمت جميعاً أمام إرادة الشعوب،

وسقطت الرايات العنصرية والإقليمية القائمة على إلغاء الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية للشعوب.

أما تجربة الغرب مع الهنود الحمر في أمريكا الشمالية، وما قام به الصرب في البوسنة والهرسك، والخمير الحمر في فيتنام فتمثل صفحات سوداء في سفر التاريخ، ومعلماً من معالم ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، إلا أن النموذج الأقرب لأنموذج الصهاينة في فلسطين هو أنموذج محاكم التفتيش الإسبانية التي ظهرت بعد طرد المسلمين من الأندلس سنة 1492، إذ تظهر المقاربة بين التجربتين بجلاء في الآليات والأدوات والأساليب والأهداف، فكلتاهما قامتا على مبدأ الاستئصال والإلغاء والطرد والإحلال، وعمل كل ما بالوسع لمسخ الهوية والثقافة للخصم من خلال سنّ القوانين والتشريعات لخدمة تلك الأهداف. فقد صادرت محاكم التفتيش الأرض، وطردت وقتلت الإنسان، وأحرقت وصادرت الكتب والمكتبات، واستولت على المساجد والمنازل والأوقاف، وفرضت الضرائب الباهظة على من بقي من المسلمين، وحرمت التخاطب باللغة العربية، وممارسة الشعائر الإسلامية، ولبس الملابس الإسلامية، ونزعت الأطفال من أمهاتهم لتتم تربيتهم على غير دينهم، وكل ذلك في ظلّ قرارات محاكم التفتيش الظالمة التي جعلت من محاربة الثقافة العربية والإسلامية هدفاً سامياً من أهدافها[38].

هذا ما حدث بالأمس في الأندلس نراه اليوم بأم أعيننا في فلسطين والقدس على وجه الخصوص، فقد بذلت الحكومة الصهيونية وما زالت تبذل كل ما بوسعها لمسخ الهوية الفلسطينية وتشويه الثقافة العربية والإسلامية في فلسطين والقدس على وجه الخصوص، ومحاولة اجتثاث ما هو مقدس، وتذويب الهوية وإلغاء الخصوصية لهذه المدينة الصابرة.

إن واقع المؤسسات التعليمية في القدس يشي بتواطؤ عالمي على تهويد المدينة المقدسة... واقع يفضح تخاذل القوى الكبرى على نصرة الحق ومساعدة الضعفاء... واقع يظهر تمرد الصهاينة على كل القيم والأعراف والمواثيق الدولية التي نصت على احترام الغالب لهوية وحضارة وثقافة المغلوب، وعدم المساس بثوابته الحضارية وثقافته الدينية والتربوية. ويمكن للباحث أن يشخص واقع المؤسسات التعليمية والثقافية من خلال النقاط الآتية: المباني المدرسية وبنيتها التحتية، أوضاع المعلمين، أوضاع الطلبة، مشروع تهويد المؤسسات التعليمية في القدس، تهويد المتاحف والمكتبات والمراكز الثقافية.

1. المباني المدرسية:

حسب إحصاء 2009/2008 يبلغ عدد مدارس القدس 147 مدرسة، يدرس فيها 87,908 طالباً وطالبة، ويقوم بتدريسهم 4,008 معلماً ومعلمة[39].

أما من الناحية الإدارية والتربوية فتشرف على مدارس القدس أربع جهات مختلفة هي: مديرية التربية والتعليم الفلسطينية، ووكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) United Nations Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East (UNRWA)، والتعليم الخاص، والبلدية والمعارف الإسرائيلية، مما يحد القدرة على وضع خطة استراتيجية لتطوير التعليم وقياس مخرجاته ورصد نقاط القوة والضعف فيه، ولعل الجدول الآتي يوضح توزيع تلك المدارس بين الجهات الأربعة المشرفة عليها وحصة كل جهة من الطلبة والمدرسين.

جدول 6/1: توزيع الطلبة والشعب والمعلمين في مدارس القدس بحسب الجهة المشرفة للعام الدراسي 2009/2008[40]

السلطة المشرفة	عدد المدارس	عدد الشعب	النسبة المئوية للشعب الدراسية	عدد الطلبة	النسبة المئوية للطلبة	عدد المعلمين	النسبة المئوية لعدد المعلمين	النسبة معلم/ طالب
المدارس الحكومية (الأوقاف)	38	473	%19.5	12,136	%13.8	732	%18.3	16.6/1
المدارس التي تشرف عليها بلدية القدس والمعارف الإسرائيلية	*50	1,094	%45	**52,580	%59.8	1700	%42.4	30.9/1
المدارس الخاصة والأهلية	51	762	%31.4	19,748	%22.5	1,429	%35.7	13.8/1
مدارس وكالة غوث اللاجئين	8	101	%4.2	3,444	%3.9	147	%3.7	23.4/1
المجموع العام	**147**	**2,430**	**%100**	**87,908**	**%100**	**4,008**	**%100**	**21.9/1**

* يشمل هذا الرقم طلبة مدارس المقاولات "سخنين" والذين يبلغ عددهم 3,818 طالباً يدرسون في 8 مدارس.
** يشمل هذا الرقم طلبة مدارس المقاولات "سخنين"، كما تعود أرقام أعداد الطلاب في مدارس البلدية إلى العام الدراسي 2008/2007، كون البلدية تنشر الأرقام الخاصة بها متأخرة سنة كاملة عن بقية الجهات.

2. وضع الأبنية والغرف الصفية:

تفيد التقارير الهندسية بأن معظم الأبنية المدرسية قائمة في بنايات قديمة لا تتوافر فيها الشروط الصحية أو المرافق التعليمية، وأن غالبيتها تفتقر إلى الترميم والصيانة الدورية، وغير مؤهلة لاستيعاب الطلبة بأعداد كبيرة، خاصة تلك الموجودة في البلدة القديمة.

ومن الملاحظ أن عدداً لا بأس به من تلك المدارس مستأجرة في بيوت لا تصلح بأن تكون مدارس، فهي تفتقر إلى المرافق التعليمية المناسبة، كالمكتبات والمختبرات وساحات الاصطفاف والمظلات والمرافق الصحية؛ لأنها مصممة أصلاً كغرف سكنية، وبالتالي لا تتوافر فيها الشروط التربوية المطلوبة. ناهيك عن الإيجارات السنوية التي تزيد عن 800 ألف دولار أمريكي، التي يتوجب على تلك المدارس دفعها؛ مما يثقل كاهلها ويجعلها عاجزة عن تقديم خدمات مميزة للطلبة.

كما تفيد التقارير التربوية أن الكثافة الصفية في مدارس القدس عالية جداً فنصيب الطالب يبلغ 0.5-0.9 متراً مربعاً بينما النسبة العالمية تتراوح بين 1.25-1.5 متراً مربعاً للطالب الواحد، مما يؤدي إلى ازدحام الطلبة في الفصول الدراسية وعدم توفر بيئة تعليمية جيدة.

إن مدارس القدس باعتراف المعارف الإسرائيلية بحاجة إلى 1,900 غرفة صفية حتى سنة 2010، وأمام هذا التحدي توسعت مدارس القدس في استئجار المنازل لاستيعاب الزيادة الطبيعية للطلبة، وزادت من نسبة المدارس التي تعمل على نظام الفترتين (الصباحية والمسائية)، وكل ذلك على حساب نوعية التعليم.

لقد حاولت مدارس القدس الاستغاثة بالمجتمع الدولي لمساعدتها في أداء رسالتها من خلال ترميم المدارس القديمة، واستئجار مدارس جديدة، فهرعت العديد من المؤسسات الدولية والعربية لمد يد العون إلا أن الذي قُدِّم لا يتناسب مع حجم التحدي، فعلى سبيل المثال مجموع ما أنفق على ترميم مدارس القدس من قبل المركز الفلسطيني لتطوير المشاريع الصغيرة Palestinian Center for Microprojects Development، الذي تأسس سنة 1995 بتمويل من الاتحاد الأوروبي European Union (EU)، لا يتجاوز 464.9 ألف دولار[41].

3. أوضاع المعلمين:

يبلغ عدد المعلمين في مدارس القدس 4,008 معلماً ومعلمة، يوجد نحو 18% منهم أي 732 يعملون في المدارس الحكومية والمدارس التابعة للأوقاف برواتب متدنية مقارنة مع زملائهم الذين يعملون في المدارس الخاصة والمدارس التي تشرف عليها سلطة الاحتلال، الأمر الذي وضعهم أمام تحدٍّ كبير بين رسالتهم الوطنية وبين ضغط حاجاتهم المعيشية، مما أدى إلى تسرب أعداد منهم إلى المدارس الخاصة أو تلك التي تخضع لإشراف الاحتلال، وقد انعكس سلباً على الواقع التربوي للمدارس الوطنية.

ولعل التحدي الأكبر الذي يواجه المدرسين والطلبة على حدٍّ سواء هو الاعتقال والطرد، مما ينعكس بشكل سلبي أيضاً على العملية التعليمية في المدارس التي يعتقل مدرسوها، وقد نشرت على سبيل المثال جريدة الدايلي ستار The Daily Star التي تصدر باللغة الإنجليزية في بيروت بتاريخ 1969/11/5 قائمة مطولة بأسماء الأشخاص الذين أبعدوا حتى ذلك اليوم من القدس، والذي يهمنا منها من له علاقة مباشرة بالمؤسسات التعليمية، فمنهم على سبيل المثال الشيخ عبد الحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف ورئيس الهيئة العلمية الإسلامية بالقدس 1969/9/23، والسيد روحي الخطيب أمين القدس 1968/3/7، والمعلم سليمان حنا جريس 1968/11/25، والمعلمة عبلة طه 1969/6/9، والمعلم خليل حسن 1969/6/9[42]. وقد اعتقل بعد ذلك مئات المدرسين إبان الانتفاضة الأولى والثانية.

4. أوضاع الطلبة:

يقترب عدد طلبة مدينة القدس من ثلث عدد سكانها وفق إحصاء سنة 2004، فقد بلغت نسبتهم 31.5%، منهم 26.5% في سنّ التعليم الأساسي و4.5% في سنّ التعليم الثانوي، ويبلغ معدل التحاق المقدسيين في التعليم العام 74.3% وهذا أقل من معدل الضفة وغزة والبالغ 87.5%، أما معدل الالتحاق بالمرحلة الثانوية فهو 52.6% في حين يبلغ بالضفة وغزة 57%[43].

إن من أخطر التحديات التي تواجه التعليم في القدس هو تزايد تسرب الطلبة من المدارس، وخاصة في المرحلة الإلزامية، لما يترتب على هذه الظاهرة من مشكلات اجتماعية كانحراف الأحداث، وحرمان الأطفال من فرصة التعليم. لذا، قامت مديرية التعليم برصد هذه الظاهرة من خلال عدة دراسات على تسرب الطلبة من المدارس الحكومية والخاصة

ومدارس وكالة غوث اللاجئين، ووضعت التدابير اللازمة التي أثبتت نجاعتها، فقد أظهرت الدراسة أن نسبة التسرب في المرحلة الأساسية كانت 10.63% في العام الدراسي 1996/1995 وانخفضت في العام الدراسي 2004/2003 إلى 0.60% نتيجة للإجراءات الوقائية والعلاجية التي تقوم بها الوزارة للحد من هذه الظاهرة، لغرض إلزامية التعليم، والعمل على تحسين نوعية التعليم في مدارسها، وتجهيز المدارس بالمختبرات، وتعيين مرشدين تربويين فيها، فضلاً عن تزايد وعي سكان القدس بأهمية التعليم كجزء من عملية المقاومة والمحافظة على الهوية. أما في المرحلة الثانوية فيلاحظ أن نسبة التسرب قد زادت من 5.7 % في العام الدراسي 2002/2001 لتصل إلى 8.2% في العام الدراسي 2006/2005، وهو ما يعكس تزايد حالة القلق بشأن مشكلة التسرب كلما تزايد مستوى التعليم[44].

وقد أشارت الدراسات أن 43.5% من مجموع الطلبة المتسربين كان سبب تسربهم العوامل الاقتصادية، و25.8% كان سبب تسربهم تدني القدرة الدراسية.

أما بالنسبة لتسرب الفتيات فإن السبب الرئيسي لتسربهن هو الزواج المبكر والخطوبة ونسبة تلك الفتيات بلغت 45.9% من مجموع المتسربات، أما السبب الثاني فهو تدني المستوى الدراسي بنسبة 20%، والسبب الأخير هو الرسوب المتكرر بنسبة 11.8%.

وهناك عامل غير مباشر يدفع إلى تسرب الطلبة من التعليم بشكل عام، وهو مبالغة المدارس الخاصة في رفع رسومها إلى جانب اشتراطها مستوى معين من الدرجات، فالطالب الفقير والطالب المتوسط في التحصيل لا يجد له مكاناً للدراسة في تلك المدارس، ويجد صعوبة كبيرة في تحصيل مقعد في مدارس الأوقاف أو المدارس الحكومية في ظلّ التزاحم الشديد على المقاعد، لذا تشير الإحصاءات بأنه يوجد أكثر من تسعة آلاف طالب دون أي إطار تعليمي في القدس[45].

يلاحظ من المعلومات المتوفرة حول معدلات التسرب في العام الدراسي 1998/1997 أن معدلات التسرب في المدارس الحكومية (الأوقاف) في القدس أقل منها في المدارس الحكومية على مستوى الوطن، حيث تبلغ نسبة التسرب في مدارس القدس للذكور 2.03% والإناث 1%، في حين تبلغ على مستوى الوطن 2.6% للذكور و2.5% للإناث في كلا المرحلتين. كذلك الحال في المرحلة الأساسية، حيث تقل في مدارس القدس عنها على مستوى الوطن، إذ تبلغ في مدارس القدس للذكور 1.93% والإناث 0.77%، بينما

تبلغ على مستوى الوطن 2.4% للذكور و1.7% للإناث. وتنخفض أيضاً هذه النسبة في المرحلة الثانوية إلى حوالي الضعف للذكور وأكثر من ثلاثة أضعاف للإناث بالمقارنة مع المدارس الحكومية على مستوى الوطن. كما أن التسرب من المدارس الخاصة أقل منه في المدارس الحكومية في القدس، حيث إن النسبة في المدارس الخاصة في المرحلة الأساسية لا تتجاوز 0.2% للذكور و1.34% للإناث، وتبلغ في المرحلة الثانوية للذكور 0.3% وللإناث 1.7%[46].

ومما يزيد من معاناة طلبة القدس جدار الفصل العنصري، الذي قسم المدينة وعزل العديد من ضواحيها عنها، ناهيك عن الحواجز العسكرية الثابتة على جميع مداخل المدينة، هذا بالإضافة إلى المدارس المتضررة مباشرة بالجدار كالمدارس في بلدة الشيخ سعد، والمدارس في بلدة الزعيم شرقي مدينة القدس، والمدارس في مخيم شعفاط وعناتا، وكذلك مدارس الرام، وضاحية البريد، التي فصلها الجدار العنصري عن المدينة المقدسة وأعاق وصول الطلبة إلى مدارسهم سواء داخل الجدار أم خارجه، حيث يوجد 11 مدرسة خارج الجدار و27 مدرسة داخله من المدارس التابعة لمديرية التربية، مما يؤثر سلباً على المسيرة التعليمية ويسهم إسهاماً فاعلاً في تسرب الطلبة وتركهم لمدارسهم.

إن جرائم الاحتلال من قتل واعتقال وطرد، وجرح وتشويه، تخلف وراءها عدداً كبيراً من الأيتام، والمعاقين، وأطفال دون معيل ودون رعاية تربوية، ودون مدارس تحتضنهم وترعاهم اجتماعياً ونفسياً. لذا، لا يمكن إغفال هذه الشريحة من الطلبة المعاقين جسدياً أو حركياً أو نفسياً، إذ تفتقر مدينة القدس لمثل هذه المدارس المؤهلة لخدمة تلك الشرائح، فإذا أضيفت هذه الشرائح إلى شريحة الطلبة غير المأطرين في التعليم يظهر أمامنا حجم الكارثة الإنسانية والثقافية في فلسطين على العموم والقدس على وجه الخصوص.

5. مشروع تهويد المؤسسات التعليمية والثقافية في القدس:

لقد أدرك قادة الحركة الصهيونية بأن صراعهم في فلسطين هو صراع ديني ثقافي حضاري، وأنه لا يمكنهم تهويد فلسطين والقدس على وجه الخصوص قبل تهويد الثقافة وتزييف الوعي لدى الأجيال، وطمس كل الآثار والمعالم التي تدل على عروبة القدس وإسلاميتها. لذا، نجد مؤسس الحركة الصهيونية يقول قبل قيام دولة الكيان الصهيوني بخمسين عاماً: "إذا حصلنا على مدينة القدس، وكنت لا أزال حياً وقادراً على القيام بأي عمل، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدساً لدى اليهود فيها، وسوف أحرق جميع الآثار التي مرت عليها القرون"[47].

لقد أدرك الصهاينة بأن المصدر الأول للوعي والثقافة والمقاومة لدى الفلسطينيين هو القرآن الكريم، وأنه ما دام يتلى فكيانهم في خطر. لذا، كان من أول أولوياتهم عند قيام كيانهم البغيض سنة 1948 هو تزييف وتشويه هذا المصدر الذي يستعصي على كل تزييف لأنه محفوظ بحفظ الله تعالى، فقام الصهاينة بإصدار طبعة جديدة من القرآن الكريم، ونزعت منها جميع السور والآيات التي تتعرض لليهود، وعملت على توزيع هذه الطبعة على نطاق واسع في العالم الإسلامي وخاصة في إفريقيا، وبين عرب فلسطين داخل الخط الأخضر، ناهيك عن منع القراء والطلاب من تلاوة الآيات التي نزعت من الطبعات الأصلية[48].

أما الخطوة الثانية التي اتخذتها سلطات الاحتلال في اتجاه تزييف الوعي لدى الأجيال الفلسطينية هي إعادة طباعة الكتب المدرسية بعد شطب كل ما يتعلق بالأطماع الصهيونية، وألزمت مدارس القدس الثلاثين التي استولت عليها سنة 1948 بتدريس تلك المناهج[49].

وبعد أن استولت سلطات الاحتلال على كامل فلسطين، بما فيها القدس إثر حرب سنة 1967، شرعت في تنفيذ مشروعها الموسع في طمس وتهويد المؤسسات التعليمية بصورة متسارعة من خلال الإجراءات الآتية:

أ. الاستيلاء على المدارس الحكومية الأردنية في القدس معتبرة نفسها وريثة للحكومة الأردنية، وضمت المدارس إلى البلدية التي فرضت بدورها عليها تدريس المنهاج الصهيوني. كما استولت في آذار/ مارس 1968 على مدرسة البنات العربية المجاورة للحرم القدسي وحولتها إلى محكمة دينية عليا[50].

ب. في الفترة ما بين 1967-1969 هدم الصهاينة حي المغاربة في القدس الشرقية بما يحمله من إرث ثقافي وأوقاف ورموز ثقافية لا تقدر بثمن تؤكد عروبة وإسلامية القدس، ناهيك عن مصادرة 612 مبنى عربياً، و437 دكاناً عربياً وخمسة مساجد وأربع مدارس والعديد من المراكز الثقافية[51].

إن مصادرة الأوقاف الإسلامية ترمي إلى إضعاف المؤسسات الثقافية التي تقوم على ريع تلك الأوقاف، ناهيك عن طمس شاهد من شواهد عروبة القدس، ورمزاً من رموز إسلاميتها.

ج. أصدرت حكومة الاحتلال في سنة 1969 قانون الإشراف على المدارس، الذي يهدف إلى الإشراف الكامل على جميع المدارس الطائفية والأهلية منها، ويعدّ هذا القانون من الحلقات المبكرة لتهويد القدس.

د. محاولة فرض المنهاج الصهيوني على المدارس العربية في القدس من خلال الإجراءات والتدابير الآتية:

- منع بناء مدارس جديدة أو ترميم القديمة أو إضافة مبانٍ على ما هو قائم، وتعقيد إجراءات الترخيص التي تتطلب سنوات طويلة ومبالغ طائلة تصل إلى 20 ألف دولار؛ لإجبار الأهالي على إرسال أبنائهم للمدارس التابعة للكيان الصهيوني.
- تقديم مساعدات نقدية وعينية لبعض المدارس الخاصة، بهدف تبني تلك المدارس لسياسات العدو الصهيوني في التعليم.
- سمحت حكومة الاحتلال وبلدية القدس لشركات إسرائيلية مرتبطة بوزارة المعارف الإسرائيلية والبلدية بافتتاح مدارس عديدة في أنحاء مختلفة من القدس الشرقية لتدريس المنهاج الإسرائيلي.
- منع تدريس التربية الوطنية واستبدالها بمحتوى يشوه الحقائق الجغرافية والديموغرافية والتاريخية، كتحدٍّ سافر للمادة الرابعة من اتفاقية حقوق الطفل التي تنص على اتخاذ التدابير التشريعية والإدارية لحماية الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للأطفال، كما تتنافى مع المادة الثلاثين من الاتفاقية نفسها التي تكفل للطفل وأسرته التمتع بثقافتهم.
- دفع الطلبة إلى تقديم امتحان (البغروت) الإسرائيلي بدلاً من الثانوية العامة.
- حذف وشطب كل ما يقع في نطاق "اللاسامية"، وحذف احتفال المسلمين بالإسراء والمعراج في القدس، وحذف كل قصيدة فيها اعتزاز بالأمة العربية وتاريخ فلسطين، وكل تفسير للآيات والأحاديث النبوية فيها مساس باليهود، وكل خريطة جغرافية تظهر فيها حدود الأردن بحيث تشمل الضفة الغربية.
- منذ سنة 2000 قامت سلطات الاحتلال بإزالة شعار السلطة الفلسطينية عن إصدارات الوزارة التي توزع على مدارس القدس.

هـ. عدم تطبيق إلزامية التعليم على الطلبة العرب في القدس الشرقية أسوة بالمدارس الصهيونية غرب القدس.

و. تأخير تزويد مدارس القدس العربية بالكتب الدراسية لأكثر من شهرين في بداية كل عام.

ز. منع الفلسطينيين من حَمَلَة هوية الضفة الغربية من دخول القدس والتعليم في مدارسها، مما أدى إلى نقص حادّ في الخبرات والتخصصات لدى المعلمين، وذلك بعد استكمال بناء جدار الفصل العنصري

ح. المضايقات الاقتصادية، ونذكر منها:

- فرض ضرائب باهظة على المدارس، وهذه خطوة غير مسبوقة، حيث إن المدارس في كل القوانين الدولية لا تخضع لقانون الضرائب، فهي عقبة يضعها الاحتلال أمام تطور التعليم في المدارس العربية في القدس.
- حرمان المؤسسات التعليمية في القدس من الأموال التي تأتي للسلطة الفلسطينية، بناء على تفسير تعسفي لشرط من قبل البنك الدولي ينص على أن الأموال التي تأتي للسلطة الفلسطينية هي فقط للأراضي التي تقع تحت سيادة السلطة الفلسطينية، وبالتالي حرموا مدارس القدس من أموال السلطة.
- دفع رواتب عالية للعاملين في التدريس في المدارس التابعة للمعارف الإسرائيلية وبلدية القدس بالمقارنة مع معلمي المدارس الحكومية والخاصة، بهدف جذب المعلمين من المدارس الوطنية إلى مدارسها وتفريغ المدارس الوطنية من الكوادر المدربة.

ط. المضايقات الإدارية، ونذكر منها:

- رفض تعيين أي مسؤول عن التعليم الحكومي في القدس العربية من مفتشين ومشرفين وتربويين من سكان القدس، والإصرار على أن يكون المسؤولون عن هذا الجانب من عرب الداخل (1948)، وفق أسس ومعايير معينة تصب باتجاه تعميق الجهل والتخلف بين أبناء القدس العربية. فالعدو الصهيوني يدرك أن الكوادر العربية المقدسية تتمتع بمهنية عالية، وهي أقدر على التعامل مع

الواقع، وأكثر مقدرة على تشخيص المشكلات وتحليل الواقع التربوي وتذليل عقباته ودفعه إلى الأمام، وهذا ما تحاربه سلطات الاحتلال.

- تتعامل سلطات الاحتلال مع أبناء الأسر المقدسية باعتبارهم مجرد مقيمين، مما يعرض الطلاب المقدسيين لسحب هوياتهم، تحت ظروف معينة، ومن ذلك، سنّ قوانين جائرة تقضي بأن كل من أمضى سبع سنوات خارج القدس أو اضطر للسكن خارج القدس يفقد حقه في الإقامة في القدس بسحب وبشطب اسمه من الحاسوب وبطرده من المدينة.

ي. المضايقات الأمنية، ونذكر منها:

- اعتقال الطلبة: هناك سياسة مبرمجة لتجهيل الطاقات الشابة عن طريق الاعتقال، فهناك أكثر من 5,900 طالب وطالبة تمّ اعتقالهم منذ سنة 2000.
- المضايقات التي تمارسها سلطات الاحتلال والمستوطنين تجاه الطلبة من الاعتداءات ومحاصرة المدارس الوطنية، ووضع الحواجز المؤدية إليها؛ لدفع الطلبة إلى الانتقال إلى المدارس خارج القدس أو الانتقال إلى مدارس البلدية والمعارف الإسرائيلية.
- عزل الطلبة والمعلمين الفلسطينيين في القدس عن إخوانهم في الضفة الغربية وغزة وذلك منذ اتفاقية أوسلو Oslo Agreement سنة 1993، حيث منع كل من لا يحمل تصريحاً من دخول المدينة.
- ترويع السكان العرب والتضييق عليهم إدارياً وسياسياً واقتصادياً.

ك. نشر الفساد الأخلاقي في الأوساط العربية وترويج المخدرات في أواسط الطلبة، حيث استغلت سلطة الاحتلال أن 69% من الأسر المقدسية تحت خط الفقر، فقامت بتشجيع الطلبة في المرحلة الإعدادية والثانوية على العمل في الفنادق والمراقص والبارات والمصانع الإسرائيلية، على الرغم من أن ذلك محظور على الطلبة الإسرائيليين. وكل ذلك من أجل طمس الهوية الثقافية لأبناء مدينة القدس عن طريق نشر الجهل والرذيلة، لذا نجد رئيس اتحاد أولياء أمور الطلبة في القدس عبد الكريم الألفي يوجه نداء إلى الأمة يقول فيه: إن ما تقوم به بلدية القدس حيال التعليم في القدس الشرقية عبارة عن سياسة تجهيل ممنهجة، وإنه لا بدّ من الإسراع في إنقاذ الوضع الأكاديمي المتدهور في القدس.

كما نشرت جمعية "حقوق المواطن في إسرائيل" في حزيران/ يونيو 2008 تقريراً أوضحت فيه أن الأوضاع المتردية للتعليم في القدس أدت إلى تسرب 35% من طلبة المرحلة الإعدادية من مدارس القدس الشرقية[52].

6. تهويد المتاحف ونهب المخطوطات:

أ. تهويد المتحف الفلسطيني الأثري، فمنذ اليوم الأول لسقوط القدس بيد الصهاينة سنة 1967، وضع اليهود أيديهم على المتحف الفلسطيني الأثري، واعتبروه جزءاً لا يتجزأ من المتحف الإسرائيلي، وتمّ تغيير اللوحات العربية ووضع لوحات عبرية مكانها، بل ووُضعت على مدخل المتحف الفلسطيني الشمالي لوحة تخلد ذكرى الجنود الصهاينة الذين قتلوا في أثناء معركة القدس[53].

ب. نهب مخطوطات البحر الميت النادرة من المتحف الفلسطيني سنة 1967 بدعوى المحافظة عليها، ويعدّ هذا العمل انتهاكاً صارخاً للمادة الرابعة من اتفاقية لاهاي Hague Convention حول تهديد سلامة الممتلكات الثقافية، كما يعدّ سرقة لتلك الممتلكات[54].

ثالثاً: المكتبات العربية الإسلامية في القدس:

إن المتأمل لمكتبات بيت المقدس الوقفية يجد تجربة فريدة للتثاقف بين الأجناس والتعايش بين الأديان إبان الحكم الإسلامي للمدينة المقدسة، ذلك الحكم الذي كفل للجميع حرية العبادة والتعبير، فتفجرت الطاقات، وانطلق سكان المدينة المقدسة صفاً واحداً بملابس مختلفة لجعل مدينتهم أنموذجاً للمدينة الفاضلة التي يعيش فيها الجميع بأمن وسلام. ولعل ما تزخر به مكتبات القدس الشريف من ذخائر تتعلق بعقائد وأفكار وفلسفات المسلمين وغير المسلمين، والتي كتبت بالسريانية واليونانية والحبشية واللاتينية والعبرية والفارسية والتركية والأردية والعربية والإنجليزية والألمانية والروسية والأسبانية والإيطالية؛ فيه الدليل الدامغ على عالمية ثقافة هذه المدينة التي تشهد بسماحة الإسلام وعدالته، التي سمحت لهذه الطوائف والمذاهب بالتعبير عن معتقداتها وأفكارها باللغة التي تراها.

لقد عبر عشاق القدس عن عشقهم وحبهم لمدينتهم من خلال إهدائهم لمكتباتها نوادر المخطوطات والمصاحف والمؤلفات الثمينة في مختلف حقول المعرفة، لينتفع بها طلبة العلم الذين وفدوا إليها من مختلف أنحاء المعمورة، فانتشرت المكتبات في المساجد والزوايا والمدارس والأديرة والكنائس، حيث كانت في الغالب الأعم مفتوحة للجميع.

لقد عبرت مكتبات بيت المقدس عن عمق محبة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لهذه البقعة المقدسة، خاصة بعد تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 583هـ/1187م، حيث تحولت القدس إلى جامعة عالمية مفتوحة زادت مكتباتها الوقفية عن 170 مكتبة ملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس والكتاتيب، وهذا يجسد إحساس الأمة بأنها استردت شيئاً عزيزاً لديها. لذا، تسابق الحكام والرعية على إقامة هذه المكتبات والمرافق العامة لخدمة طلبة العلم والمجاورين الذين وفدوا إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، طمعاً في الأجر والثواب وتحصيل المعرفة في هذه البقعة المقدسة. وقد صور لنا العماد الأصفهاني الازدهار الثقافي الذي شهدته القدس بعد تحريرها من نير الصليبيين بقوله: "فما ترى إلا قارئاً باللسان الفصيح وراوياً للكتاب الصحيح ومتكلماً في مسألة... وذاكراً لحكم مذهبي وسائلاً عن لفظ لغوي ومعنى نحوي.. أو ناشداً بنشيد".

ولعل مكتبات بيت المقدس الإسلامية من أبرز المؤسسات التي تمثل تظافر جهود الأمة الخيرة في خدمة المعرفة والثقافة لسكان هذه المدينة وروادها من مختلف الأجناس والأعراق.

أ. المكتبات العامة:

1. مكتبة المسجد الأقصى:

تعدّ هذه المكتبة من أهم المكتبات الإسلامية في المدينة المقدسة من حيث مقتنياتها العلمية الفريدة، ومخطوطاتها النادرة التي أهديت إليها من كبار العلماء والحكام وأثرياء الأمة، التي كانت تشتمل على أمهات الكتب في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ والحساب والميقات والمنطق، فضلاً عن علوم العربية، إلى جانب مؤلفات المدرسين الذين عملوا في المسجد الأقصى على مدى العصور[55].

لقد كان المسجد الأقصى من أهم المعاهد العلمية في الحضارة الإسلامية، وعماد الحركة الفكرية في بلاد الشام، فقد كان ملتقى للعلماء وطلبة العلم من مختلف أرجاء

الدولة الإسلامية. ويروي حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، أنه في أواخر القرن الخامس الهجري كان يتواجد في المسجد الأقصى 360 مدرساً، إلى جانب مئات القراء الذين نطالع أسماءهم في سجلات المحكمة الشرعية في القدس، فضلاً عن وثائق الحرم القدسي الشريف ومحفوظات العائلات المقدسية، مما جعل مكتبة الأقصى تحتل مكانة خاصة في العالم الإسلامي[56].

ولعل من أوائل الإشارات الموجودة، والتي تتحدث عن خزانة المسجد الأقصى تعود إلى القرن الثالث، عندما أشار ابن الفقيه ت 290هـ/902م في كتابه "البلدان" أنه كان في المسجد الأقصى على عهده 16 تابوتاً من المصاحف المسبلة[57]. ويبدو أن نقطة التحول الكبرى في هذه الخزانة كانت في سنة 583هـ/1187م عندما حررت القدس من أيدي الصليبيين، وأحضر صلاح الدين الأيوبي من مكتبة دمشق العديد من المصاحف والكتب ووضعها في خزانة المسجد المحرر، وأوقف على هذه المصاحف الأوقاف لمداومة قراءتها في الصباح والمساء[58]. وسار على هدي صلاح الدين من جاء بعده من الحكام والسلاطين والولاة، الذين تباروا في تعزيز هذه الخزانة بالمصاحف والكتب إيماناً منهم بأن تعزيز هوية المدينة المقدسة بالثقافة الإسلامية لا يقل عن أهمية تحصين قلاعها وحصونها وأسوارها، فها هو السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف المريني، سلطان المغرب، يهدي إلى خزانة المسجد الأقصى مصحفاً شريفاً في غاية الروعة والجمال، قام بكتابته بيده وأوقف عليه أوقافاً لقراءته في المسجد الأقصى سنة 745هـ/1344م، هذا إلى جانب عشرات المصاحف التي أوقفها كل من سلاطين المماليك والعثمانيين مثل الظاهر جقمق، والأشرف أنيال، والأشرف بارسباي، والظاهر خشقدم[59]، والسلطان سليمان القانوني، والوزير العثماني سنان باشا، وناظر الحربية العثماني أنور باشا وغيرهم[60].

بعد صدور وعد بلفور سنة 1336هـ/1917م، ورعاية الحكومة البريطانية للهجرة اليهودية لفلسطين، شعر أبناء فلسطين وأبناء الأمة الإسلامية بالخطر الذي يتهدد الهوية الإسلامية لفلسطين وللمدينة المقدسة بشكل خاص، فقاموا بتأسيس المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين سنة 1340هـ/1921م، والذي كان من ضمن قراراته إنشاء مكتبة الأقصى لحفظ كنوز المدينة المقدسة من الوثائق والمخطوطات والكتب النادرة، وكان مقرها في بادئ الأمر في القبة النحوية[61]، تحت اسم دار كتب المسجد الأقصى، وذلك في 12 ربيع الأول سنة 1341هـ/1922م. وكانت المكتبة تشتمل في سنة 1927 حسب قول الأستاذ عارف العارف على 1,800 كتاب ومخطوط[62]، ثم نقلت إلى المدرسة الأسعروية

شمال المسجد الأقصى. وفي سنة 1929 صارت فرعاً من المتحف الإسلامي في القدس، ولكنها بقيت مغلقة أمام الجمهور حتى سنة 1976[63]، حين أعادت دائرة الأوقاف الإسلامية افتتاحها تحت اسم مكتبة المسجد الأقصى. وفي سنة 1978 نقلت من جديد إلى المدرسة الأشرفية السلطانية التي بناها السلطان الأشرف قايتباي في الحرم الشريف[64]، وفتحت أبوابها للجمهور، وقد ذكر أمينها أن عدد محفوظاتها حوالي 14 ألف مجلد[65].

وكانت موارد مكتبة الأقصى من بقايا كتب دار كتب المسجد الأقصى، ويبلغ عددها في السجلات حوالي أربعة آلاف كتاب معظمها فُقِد، ومكتبة الشيخ خليل الخالدي التي كان مجموع ما فيها حسب الحجة الوقفية 3,480 كتاباً و500 مخطوط، وصل منها 759 كتاباً ومئة مخطوط، ومكتبة الشيخ صبري عابدين التي كانت تشتمل على 442 كتاباً وصل مكتبة الأقصى منها 304 كتب. وقد تنادى علماء الأمة من مختلف أرجاء العالم العربي لدعم هذه المكتبة ذات الخصوصية في نفوس أبناء الأمة كونها تحمل اسم المسجد الأقصى، فأهدى إليها علماء مصر مثل أحمد زكي، ومحمود تيمور، وعلماء فلسطين مثل مي زيادة، وعلماء سورية مثل رفيق العظم، وعلماء العراق مثل رشيد عالي الكيلاني، والشاعر الرصافي وغيرهم، حتى بلغ عدد الكتب المطبوعة 20 ألفاً في مواضيع متنوعة مثل اللغة العربية والتاريخ والسير والآثار والفقه والأصول والتفسير والحديث وعلوم القرآن وأصول الدين والتصوف والفلسفة والمنطق والجغرافيا والحساب. أما عدد المخطوطات فيبلغ 1,500 مخطوط[66]، قام أمين المكتبة الأستاذ خضر إبراهيم سلامة بفهرستها في ثلاثة أجزاء، طبع الجزء الأول سنة 1980، وصدر الجزء الثاني سنة 1983 بدعم من مؤسسة آل البيت في الأردن.

وقد أثنى الأستاذ محمد كرد علي على مكتبة الأقصى وعلى ما تحويه من نوادر الكتب والمخطوطات فقال: "ومن أهم الخزائن في الشام خزانة المسجد الأقصى في القدس" وذكر من نفائسها كتاب "نشق الأزهار في عجائب الأقطار" للمؤرخ المصري ابن إياس ت 930هـ/1524م[67]، ومخطوط "تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم"، لأبي بكر الخطيب علي بن ثابت البغدادي ت 464هـ/1072م، ومخطوط "طبقات الشافعية" لتقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي ت 851هـ/1448م، ومخطوط كتاب "الأقاليم" للأصطخري ت 340هـ/952م، ويرجح أن المخطوط يرجع إلى القرن الخامس أو أوائل القرن السادس الهجري[68].

وكان لخزانة المسجد الأقصى منذ فترة مبكرة من تاريخها أمناء يقومون عليها، وأوقاف منتشرة في معظم مدن فلسطين للإنفاق عليها، وعلى العلماء القائمين على التدريس وقراءة القرآن في المصاحف الموقوفة من قبل أهل الخير في الأمة، ولعل الناظر في كتب التراجم يلاحظ أن الأعلام من علماء الأمة كانوا يتولون أمانة خزانة المسجد الأقصى، منهم على سبيل المثال العالم الجليل شمس الدين محمد بن حبيب الغانمي المقدسي، الذي تولى وظيفة خازن الكتب في المسجد الأقصى في أواسط القرن التاسع الهجري[69]، واستمر هذا الحال حتى يومنا هذا مع شيء من التعديل في الواجبات والمهام.

وفي القرن العشرين كان من أشهر أمنائها عند التأسيس الأستاذ عادل جبر، والشيخ يعقوب البخاري[70]، ثم تعددت الهيئات والأشخاص من المشرفين على الحرم الشريف بما فيه من معالم ثقافية في أثناء الاحتلال الصهيوني.

لقد كان المسجد الأقصى جامعة مفتوحة بالمفهوم المعاصر، فقد كانت ساحاته ومحيطه يزدحم بالمؤسسات العلمية من مدارس وزوايا ومكتبات ودور حديث ونحو وقرآن، ورباطات وخوانق، والتي كانت تعقد فيها حلقات العلم والدروس الدينية، وعلوم اللغة والتاريخ والسير، وعلم الكلام والمنطق والعلوم الرياضية وغير ذلك من فنون العلم، مما انعكس بشكل واضح على مكتبته فتنوعت محتوياتها لتلبي رغبات الدارسين في مختلف حقول المعرفة، مما زاد من شهرتها وشيوع صيتها في أرجاء العالم الإسلامي، عن طريق روادها من طلاب العلم من مختلف أرجاء المعمورة.

2. مكتبة الشيخ الخليلي:

تأسست هذه المكتبة سنة 1138هـ/1725م، وهي أول مكتبة عامة يوقفها أحد سكان مدينة القدس لأبناء المدينة المقدسة، وكان فيها سبعة آلاف كتاب[71]، أوقفها شيخ الإسلام محمد الخليلي مفتي الشافعية بالقدس وأحد شيوخ الطريقة الصوفية القادرية، والذي نشأ في الخليل وتلقى العلم في الأزهر ثم جاء إلى القدس سنة 1104هـ/1695م، وسكن في المدرسة البلدية المجاورة للمسجد الأقصى، وكان وافر العلم وافر الغنى، كما أنه ألّف في الفقه الفتاوى الخليلية، وأجازه الشيخ عبد الغني النابلسي ولقبه بعلامة البلاد المقدسة، وقد توفي سنة 1147هـ/1734م.

وقد كانت خزانة كتبه فريدة ومتنوعة، كما أثنى عليها حسن عبد اللطيف الحسيني في تراجم أهل القدس بقوله: "وجمع مولانا خزانة علم فريدة من الكتب الصحيحة

المجيدة أوقافها وسبلها، وهي الآن نفع نافع لكل طالب، وصدقة جارية كافية للراغب"[72] وهي أول مكتبة عامة يوقفها أحد سكان القدس، ويكون بذلك رائداً من رواد هذا العمل الخالد إذ كانت مفتوحة الأبواب لكل الناس[73]، وكانت هذه المكتبة غنية بكتبها المتنوعة التي تخدم مختلف الدارسين في حقول المعرفة المختلفة، فقد أوردت وقفية الشيخ الخليلي ثبتاً بأسماء الكتب الموقوفة التي فيها، من مصاحف شريفة وكتب تفسير وحديث وفقه وأصول وتوحيد وتصوف وقراءات وفرائض وحساب وفلك ونحو ومعاني وبيان ومنطق وصرف وعروض وآداب وطب، فضلاً عن رسائل متعددة في علوم مختلفة. ويقدر عدد المجلدات بسبعة آلاف مجلد وقفها على نفسه مدة حياته ثم على أولاده وأحفاده ما تناسلوا، فإذا انقرضوا فعلى أقرب عصبات الواقف ما تناسلوا فإذا انقرضوا فعلى الزاوية المحمدية في صحن الصخرة وعلى فقهاء الشافعية، ووضع الواقف شروطاً كثيرة للحفاظ على الكتب بحيث لا تباع ولا توهب ولا ترهن ولا تهدى لأحد من الحكام والأعيان ولا تستبدل، فضلاً عن العناية بالكتب وترميمها وتجليدها وعدم إعاراتها إلا لطلبة العلم، ومن هذه الشروط أن تبقى الكتب تحت أيدي الموقوف عليهم في المدرسة البلدية ما داموا فيها، وكانت المدرسة البلدية بباب السلسلة قد أنشأها نائب السلطان الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي ت 782هـ/1381م وقد حولت من هذه المدرسة في سنة 1400هـ/1979م إلى مكتبة الأقصى[74].

3. المكتبة الخالدية العمومية:

تعدّ المكتبة الخالدية في القدس الشريف من أهم دور الكتب في فلسطين وأغناها، وقد كانت مدرسة آلت ملكيتها إلى السيدة خديجة الخالدي ابنة قاضي عسكر بر الأناضول موسى أفندي، والتي أوصت ولدها الحاج راغب الخالدي الديري المقدسي، رئيس المحكمة الشرعية بيافا، أن يقفها وينقل إليها كتب الأسرة الخالدية، فنفذ وصيتها سنة 1318هـ/1900م بمشورة ومساعدة بعض وجهاء عائلته؛ ياسين الخالدي، وموسى شفيق الخالدي، إلى جانب صديق العائلة الشيخ ظاهر الجزائري مؤسس المكتبة الظاهرية بدمشق، والشيخ أبي الخير الحبال الدمشقي، وخصصوا لها غرفة رحبة على جادة باب السلسلة في القدس الشريف، كما جرى الاتفاق أنه متى توفي أحد أفراد الأسرة تنقل كتبه إلى المكتبة الخالدية. وهكذا ضُمّت إليها كتب ضياء الدين باشا الخالدي، نائب القدس في مجلس المبعوثان العثماني 1295هـ/1878م، ومكتبة روحي بك الخالدي، الرئيس الثاني

لمجلس المبعوثان العثماني 1326هـ/1908م، ومكتبة نظيف بك الخالدي أحد مهندسي سكة حديد الحجاز، ومكتبة أحمد بدوي بك الخالدي وغيرهم[75].

وقد أوضح برنامجها (الفهرس) الذي صدر غداة تأسيسها، والذي يقع في 87 صفحة بقطع ربع عادي، الظروف التي تمّ بها تأسيس المكتبة وجعلها دار كتب عامة، مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب من الصباح إلى المساء طوال أيام الأسبوع، شريطة ألا يخرج منها كتاب، وذلك حرصاً على المنفعة العامة[76].

ويتبين من مطالعة فهرست المكتبة أنها تحوي كتباً في مختلف الموضوعات، في التفسير والتجويد والقراءات والرسم والحديث والأصول، والفتاوى والفقه على المذاهب الأربعة، والفرائض والتوحيد والتصوف والمواعظ والحكم، والنحو واللغة والأدب والسياسة والقانون، والإدارة والفلك، والطب، والمناقب والسيرة، وعدد كبير من المجاميع في مختلف العلوم الدينية والدنيوية[77].

أما بالنسبة لتطور أعداد الكتب والمخطوطات فيها فقد تزايد بشكل مطرد، فكان عدد موجوداتها 1,318 كتاباً عند تأسيسها سنة 1900[78]، ليقفز سنة 1917 إلى أربعة آلاف كتاب، فقد زارها في هذا التاريخ العلامة عبد الله مخلص وأثنى عليها بقوله: "زرت هذه المكتبة سنة 1336هـ/1917م، فرأيت فيها نفائس المطبوعات ونوادر المخطوطات"، إذ بلغ عدد موجوداتها في هذا التاريخ أربعة آلاف مجلد، ثلثاها مخطوط والثلث من نوادر المطبوعات القديمة، فضلاً عما أهدي إليها من نفائس مطبوعات المستشرقين مثل الأستاذ مرجليوث Margoliouth وغيره[79]. واستمر عدد موجودات المكتبة ثابتاً حتى سنة 1928[80]، إلا أنه ازداد في سنة 1936 ليصل إلى سبعة آلاف كتاب، وهذا ما أكده فيليب دي طرازي والعالم القبطي جرجس فيلوثاوس عوض الذي زار المكتبة بتاريخ 1936/4/14، وأكد بأنها تشتمل على سبعة آلاف مجلد، ثلثها مخطوط، ومن تلك المخطوطات ما يبلغ عمره السبعة قرون[81]. وفي سنة 1945 زارها عارف العارف، وذكر بأنها تشتمل على 12 ألف كتاب بالعربية والفارسية والتركية والإنكليزية والفرنسية[82]، منها خمسة آلاف مخطوطة في العلوم المختلفة[83].

وكنتيجة للنكبات المتوالية التي تعرضت لها المدينة المقدسة منذ سنة 1948 بدأت موجودات المكتبة تتقلص وتتبعثر حتى بقي منها 5,980 كتاباً في إحصاء سنة 1973 منها 4,412 بالعربية والتركية والفارسية، و1,568 بالإنجليزية والفرنسية[84].

ويؤكد عبد الله مخلص بأن المكتبة الخالدية تحتوي على 48 مخطوطاً من أنفس المخطوطات وأكثرها ندرة في العالم، وذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب "المدهش" للحافظ أبي الفرج الجوزي ت 597هـ/1200م، ومخطوط: "الشعور بالعور" للشيخ صلاح الدين خليل أيبك الصفدي ت 764هـ/1362م، و"أنموذج العلوم" للمولى شمس الدين محمد حمزة الفناري ت 834هـ/1430م، الذي ذكر فيه أصول مئة علم، و"مختصر حياة الحيوان" لجلال الدين السيوطي ت 911هـ/1505م، وهو ملخص من حياة الحيوان الكبرى للدميري، و"إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى" للشيخ كمال الدين محمد أبي شرف الشافعي المصري ت 906هـ/1500م، ألفه في أثناء مجاورته بالقدس سنة 875هـ/1470م، و"مثير الغرام بفضائل القدس والشام" لشهاب الدين أبي محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي ت 765هـ/1363م، و"الطبقات السنية في تراجم الحنفية" لتقي الدين بن عبد القادر الغزي التميمي الداري ت 1010هـ/1601م، و"حسن الاستقصا لما صح وثبت في المسجد الأقصى" لأحمد بن التافلاتي، وقد ألّفه سنة 1100هـ/1699م، و"قهوة الإنشاء" لابن حجة النحوي ت 837هـ/1433م وهو مجموع رسائله، و"شاناق في السموم والترياق" لشاناق الهندي، وقد نقله إلى العربية للخليفة المأمون، ابن سعيد الجوهري وهو في معرفة السموم والترياق الذي يدفعها، وهي نسخة ملوكية، وغيرها من المخطوطات في فنون العلم المختلفة[85].

هذا وقد تولى إدارة المكتبة مجموعة من الإعلام، منهم طاهر الجزائري، ثم الشيخ أمين الأنصاري وقد ظلّ مديراً للمكتبة زهاء نصف قرن، وتوفي في أوائل الخمسينيات، وبعد وفاته بقي مفتاحها في عهدة ابنه، وفي سنة 1967 تولى أمر المكتبة أحد أفراد الأسرة من آل الخالدي في القدس، وهي الآن بحاجة لإعادة إحياء وبحث من جديد، بعد أن تسرب إليها الإهمال[86].

4. مكتبة المتحف الإسلامي:

أسس المتحف سنة 1923 بمبادرة من المجلس الإسلامي الأعلى، حيث يعدّ أول متحف أسس في فلسطين، وقد أقيم في بادئ الأمر في الرباط المنصوري[87]، الذي كان قد أنشأه المنصور قلاوون سنة 681هـ/1282م، وفي سنة 1929 نُقِل إلى مقره الحالي وهو جامع المغاربة القديم في الجزء الجنوبي الغربي من الحرم القدسي[88].

وتحتوي مكتبة المتحف على مجموعة قيمة من المخطوطات والوثائق، فهنالك أكثر من 1,300 وثيقة تعود إلى الفترتين المملوكية والعثمانية، وهي تبحث في عدة مواضيع منها؛ محاضر بيع وشراء أراضي، وعقود زواج، ومحاضر حصر أرث، وقرارات تعين قراء في المسجد الأقصى وقبة الصخرة وغيرها. ويذكر عارف العارف أنه في سنة 1928 كان عدد الكتب فيها 1,700 كتاب مخطوط[89]، وآخر ما اكتشف من وثائق هذا المتحف هي تلك الوثائق التي أصبحت تعرف باسم "وثائق الحرم القدسي الشريف"، والتي اكتشفت ما بين سنتي 1974-1976 في إحدى الخزائن التي كانت مغلقة ومهجورة منذ زمن بعيد في المتحف، وهي تشمل على 1,300 وثيقة تقع في 883 ورقة تغطي الفترة 604-886هـ ومعظمها يرجع إلى السنين العشرة الأخيرة من القرن الثامن الهجري، وهي عبارة عن مراسيم سلطانية تتعلق بالحرم القدسي الشريف، وقوائم تركات، وأوراق حسابات ووصولات، ومستندات مالية، وإقرارات ديون، ونفقات زوجات أو محاصيل زراعية، ووثائق قضائية، ومحاضر جلسات المحاكم، وعقود زواج وشراء وإيجار، ووثائق تتعلق بالأوقاف والوكالات والفنادق وغيرها، فضلاً عن 27 وثيقة باللغة الفارسية وهي من أقدم الوثائق في هذه اللغة[90].

ومن أهم موجودات المتحف المصاحف الأثرية التي تقدر بـ 650 مصحفاً، والتي تعود إلى مختلف الفترات الإسلامية، تمّ وقف معظمها على المسجد الأقصى وقبة الصخرة وبعض المساجد القديمة في بقية المدن الفلسطينية، وهي مكتوبة بخطوط مختلفة كالكوفي والمغربي والنسخي والثلث. ويشمل المتحف على نسخة يتيمة من المصحف الشريف مكتوبة بالخط الكوفي على الرق، وهو عبارة عن الجزء الثاني من المصحف[91]، وقد كتب عليه "كتبه محمد بن الحسن ابن الحسين بن بنت رسول الله"[92].

وفي المتحف صندوق كبير يضم مصحفاً مخطوطاً على رق للمسجد الأقصى، كتبه بيده السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي يوسف المريني ملك المغرب، وهذا المصحف مجلد على الطريقة المراكشية، وصندوقه مزخرف بالميناء على الطريقة الأندلسية، وقد فقدت خمسة أجزاء من أجزائه الثلاثين في سنة 1932[93].

ومن الجدير بالذكر أن جامعة ماكجيل McGill University بكندا قامت بتصوير وثائق الحرم القدسي الشريف التي اكتشفت ما بين سنتي 1974-1976 على ميكروفلم، وأصبح الحصول عليها ميسوراً للباحثين، هذا وقد أعيد افتتاح المتحف في سنة 1980.

5. مكتبة متحف الآثار الفلسطيني:

أنشئ المتحف في بادئ الأمر في بناية تخص آل قطينة في منطقة سعد وسعيد، وفي سنة 1927 قدم الثري جون روكفلر إلى حكومة الانتداب البريطاني مبلغ مليوني دولار يصرف نصفه لبناء متحف، ويوقف الباقي من رعيه على صيانته، وقد وضع حجر الأساس سنة 1930، وتمّ البناء سنة 1935 في بستان كبير، ونقلت الآثار من المتحف القديم إلى البناء الجديد المكون من ثلاث صالات عرض، وأربع غرف في زواياه الأربعة ومختبر وغرف كثيرة للموظفين ومكتبة[94].

وتشغل بناية المكتبة جانباً من جناح المتحف الشرقي والجنوبي، وتتألف من طابقين سفلي وعلوي، وفي الطابق السفلي رتبت الكتب على رفوف معدنية، أما الطابق العلوي فيحتوي على غرفة للمطالعة، فيها المراجع والفهارس والمجلات والموسوعات، وقد زودت بمناضد مصنوعة من خشب البلوط[95]. وكان في مكتبة المتحف أكثر من 30 ألف مجلد سنة 1948، أغلبها في التاريخ والآثار، ومن بينها كتب نادرة ومخطوطات ذات قيمة تاريخية وأثرية، أهمها مخطوطات البحر الميت[96].

وقد وضع المتحف عند تأسيسه تحت إشراف هيئة دولية من العلماء من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، وممثلين عن خمس دول عربية وواحد يمثل الجامعة العربية، ولم يحدث أن اجتمع الأخير في هذه اللجنة[97]. وفي سنة 1966 ألحق المتحف بدائرة الآثار الأردنية[98]، وبعد احتلال "إسرائيل" للقدس سنة 1967، أعلنت أن المتحف ملك لها، وأحلت محل اللوحات التي كانت تحوي التوضيحات باللغتين العربية والإنجليزية لوحات باللغة العبرية وحدها. كما جرى نهب المخطوطات النادرة حيث نقلت إلى المتحف الإسرائيلي، ومن بين هذه المخطوطات النادرة، مخطوطات البحر الميت، والتي هي عبارة عن نصوص من العهد القديم وكتابات من العهد الجديد لم تكن معروفة سابقاً مكتوبة بالعبرية والأرمية، وتلقي الضوء على جذور المسيحية وعلاقتها باليهودية[99]. هذا وتعد مكتبة هذا المتحف من أكثر مكتبات القدس تنظيماً، إذ كان لها فهرس أبجدي للمؤلفين وآخر للموضوعات، إلى جانب اتباعها نظام تصنيف خاص بها[100].

6. مكتبة الكلية العربية:

تأسست سنة 1930، وتعدّ من أكبر المكتبات الأكاديمية الرسمية، وحتى سنة 1946 كان فيها 7,122 كتاباً، وعندما نشب القتال بين اليهود والعرب في سنة 1948 بعثرت

كتبها ونهب اليهود بعض كتبها القيمة، وضمت إلى مكتبة الجامعة العبرية منها 55 مخطوطاً تبدأ في سجلات الجامعة العبرية برقم 80123 وتنتهي برقم 80178، وقد كتب عند المصدر – كتب المكتبة الإسلامية – القدس[101]. وقد نقل أمين المكتبة جودت القباني ما بقي من مقتنياتها إلى دار المعلمين في عمّان في أوائل الستينيات، ولا يوجد فهرس للتعرف على مدى الضياع الذي لحق بمحتوياتها[102].

7. سجلات المحكمة الشرعية في القدس:

تعدّ من أهم المكتبات الوثائقية في القدس، وقد كانت حتى سنة 1941 في مبنى المحكمة الشرعية القديمة بباب السلسلة الذي يعود إلى القرن الثامن الهجري، إلا أنها نقلت في سنة 1941 إلى مبنى الزاوية البخارية، حيث استقرت المحكمة الشرعية بعد نقلها من مبناها القديم، وبعد سنوات قلائل نقلت المحكمة والسجلات مرة أخرى إلى مبنى جديد بعمارة الأوقاف بباب الساهرة حيث توجد الآن.

وحسب إحصاء سنة 1982 يبلغ عدد سجلات المحكمة الشرعية 616 سجلاً تقع في حوالي مئة ألف صفحة، يبدأ السجل الأول في 14 شوال 936هـ، والذي يعدّ أقدم سجلات المحاكم الشرعية في البلاد العربية جميعاً. وتغطي هذه السجلات فترة طويلة من تاريخ القدس في العصر العثماني حيث بلغ مجموع سجلاتها 416 سجلاً تنتهي في سنة 1336/1335هـ. ولغة السجلات في معظمها هي اللغة العربية، ولكن هناك سجلات بكاملها كتبت باللغة التركية، مثل (السجلات 1-3، 6-7، 9، 11-12، 14، 17)، علماً بأن معظم السجلات المكتوبة باللغة التركية ترجع إلى القرنين الأولين من الحكم العثماني لفلسطين. ويتراوح عدد الصفحات لكل سجل من سجلات القرن 13 هجري/19 ميلادي ما بين 150-300 صفحة، وكانت الصفحة الأولى من كل سجل تحتوي على مقدمة يسجل فيها اسم القاضي وأول تاريخ جلس فيه للحكم. وكل وثيقة من الوثائق التي يحتويها السجل كان القاضي يوقع في أعلاها، وفي نهاية الوثيقة كان يوقع الشهود.

ويمكن تقسيم سجلات المحكمة إلى الأنواع التالية:

- سجلات الفرمانات والأوامر الصادرة من السلطة المركزية إلى الوالي أو القاضي أو غيره من كبار الموظفين، إلى جانب قرارات التعيين والإقطاعات، ومعظمها تعود للقرنين الأولين للحكم العثماني لفلسطين.

- سجلات المتروكات، وسجلات القسام العسكري والقسام العادي، وهي تتعلق بالتركات العسكرية والناس العاديين.
- سجلات الوصايا والوكالات:

وهذه السجلات تعد من أهم الوثائق للتأريخ الاجتماعي والاقتصادي والإداري والسياسي لفلسطين في العصر العثماني، ويعود الفضل في ترقيمها وتجليدها وحفظها في خزائن حديدية لسماحة قاضي القدس عبد الحميد السائح رحمه الله[103].

ب. مكتبات المدارس والزوايا:

إن المتأمل لتأريخ القدس منذ تحريرها على يد صلاح الدين سنة 583هـ/1187م وحتى سقوطها بيد الصهاينة سنة 1967 يلاحظ أن هذه المدينة على صغر مساحتها وقلة عدد سكانها مقارنة بالحواضر الإسلامية الكبرى[104] قدمت لنا أكثر من 125 خزانة كتب ملحقة بـ 70 مدرسة و55 زاوية ورباط[105]، فضلاً عن عشرات المكتبات الخاصة والعامة ومكتبات المساجد التي أوقفها حكام وسلاطين المسلمين إلى جانب أهل الخير من أغنياء الأمة[106]. وقد بقي من هذا العدد الكبير حوالي أربعين مكتبة حتى سنة 1945، ذكرها عارف العارف في كتابه "المفصل في تاريخ القدس"[107].

وقد كانت خزائن الكتب في المدينة المقدسة تمثل بمحتوياتها الأطياف الفقهية السائدة من مالكية وشافعية وحنفية وحنبلية، فضلاً عن الاهتمامات الثقافية للنخبة، فقد تخصصت العديد من المدارس والزوايا بلون من ألوان الثقافة الإسلامية، وبالتالي انعكس هذا على محتويات خزائن الكتب الملحقة بها، فعلى سبيل المثال كان في القدس في أواخر القرن 11 هجري/17 ميلادي، أربعون مدرسة للفقه، وعشرة دور للقران الكريم، وسبعة دور للحديث النبوي الشريف، فضلاً عن المدارس التي تخصصت في النحو، وهي بحق تعكس توجهات النخبة المثقفة في القدس الشريف، وستحاول الصفحات القادمة تسليط الضوء على بعض هذه المكتبات منها:

مكتبة المدرسة النصرية التي أنشأها الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي في أواسط القرن 15 هجري/11 ميلادي، والتي عرفت فيما بعد باسم مكتبة المدرسة الغزالية لاعتكاف حجة الإسلام أبي حامد الغزالي فيها، حيث أتمّ تأليف كتابه الشهير "إحياء علوم الدين". والمدرسة تقع بالقرب من باب الرحمة الملاصق لباب التوبة شرقي ساحة الحرم، وقد جدد الملك المعظم عيسى بن أحمد بن أيوب بناءها وجعلها زاوية لقراءة

القرآن الكريم والاشتغال بالنحو، وزود مكتبتها بمجموعة من الكتب، من جملتها كتاب "إصلاح المنطق" لأبي يوسف بن إسحق بن السكيت، ويذكر مجير الدين الحنبلي أنه وقف على كراسة من هذا الكتاب وعلى ظهرها الوقف، وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة سنة 610هـ/1214م، وبسبب كثرة الكتب الموقوفة على مكتبة هذه المدرسة أمّها العلماء والطلاب على حدٍّ سواء طوال العهد الأيوبي وفترة طويلة من العهد المملوكي، ويبدو أن هذه المكتبة والمدرسة قد اندثرت وغدت أثراً بعد حين في أواخر القرن 9 هجري/15 ميلادي[108].

أما مكتبة المدرسة (الخانقاه)[109] الفخرية، وهي من المكتبات الكبيرة في ساحة الحرم الشريف بالقدس، والغنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية، وكان عدد مجلداتها يقدر بنحو عشرة آلاف مجلد، غير أن أفراد أسرة أبي السعود التي كانت لها الولاية على الخانقاه قد اقتسموها بينهم فتبعثرت[110]. وكان القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ت 732هـ/1331م، والذي ينحدر من أصل قبطي قد أسلم وحسن إسلامه وأوقف هذه المدرسة والمكتبة الملحقة بها[111]، وقد استولت السلطات الإسرائيلية على الزاوية الفخرية في 1969/6/16[112].

ونصت الوقفية الخاصة بالمدرسة الأشرفية السلطانية على أنه كان في الحائط الشمالي للمدرسة ثلاث خزائن للكتب، كان يقوم عليها ثلاثة موظفين، أحدهم يسمى خادم الربعة الشريفة، وآخر يحمل لقب خادم المصحف، وثالث باسم مفرق الربعة الشريفة، وكان من جملة موجودات هذه المكتبة المصحف الذي وقفه السلطان قايتباي[113].

وفي رواق الحرم الشمالي تقع مكتبة المدرسة الأمينية، وهي عبارة عن غرفة مخصصة للكتب تدعى "الكتبية"، وضع فيها الشيخ محمد بن صالح الإمام، شيخ المدرسة في القرن 13 هجري كتبه، وفي سجلات المحكمة الشرعية بالقدس حجة وقف، وقف بموجبها الشيخ يحيى شرف الدين ابن قاضي الصلت ت 1040هـ/1630م، أحد أجداد عائلة الإمام والمدفون بالمدرسة، مجموعة كبيرة من الكتب على أولاده ونسله، ومن بعدهم على طلبة العلم من السادة الشافعية في القدس الشريف، وحجة الوقف هذه مؤرخة في 25 رجب 1007هـ/1598م[114].

ومن المدارس التي اشتهرت بمكتباتها في بيت المقدس المدرسة الصلاحية، التي أسسها صلاح الدين الأيوبي فور تحريره للمدينة المقدسة ووقفها في 13 رجب 588هـ[115]، فقد

عهد إلى تحويل الدار التي بناها فرسان المنظمة الصليبية العسكرية المسماة الإسبتارية إلى مدرسة كبرى هي المدرسة الصلاحية، يدرس فيها الفقه الشافعي، وزودها بالكتب[116]. وكانت وظيفة شيخ الصلاحية المشرف على المدرسة ومكتبتها وطلابها في قمة الوظائف الدينية في بيت المقدس، حيث كان يصدر أمر تعينه بمرسوم من السلطان المملوكي في القاهرة[117].

وكانت ملحقة بالمدرسة الغادرية خزانة كتب وقف بعضها شهاب الدين أحمد الأنطاكي سنة 945هـ/1538م، وفي الزاوية الشمالية للحرم كانت مكتبة المدرسة الجاولية التي وقفها نائب القدس الأمير علم الدين الجاولي 715هـ/1315م[118]. وتأتي بعد ذلك مكتبة المدرسة التنكزية، التي أنشأها الأمير تنكز الناصري ت 741هـ، نائب دمشق سنة 729هـ/1328م، والتي كانت مكتبتها من المكتبات الغنية بالكتب الفقهية على المذاهب الأربعة، لأن هذه المدرسة تميزت بتدريس المذاهب الأربعة، مما كان سبباً في ثراء مكتبتها[119]. وقد استولت القوات الإسرائيلية على هذه المدرسة في 1969/6/24 وحولوها إلى موقع عسكري. وإلى جانب المكتبات السابقة توجد عشرات المكتبات الأخرى[120]، والتي كانت تشكل محوراً للنشاط التعليمي كله، ولم يكن دورها يقتصر على الاستفادة منها في التعليم، بل امتد إلى الإفادة من كنوزها وذخائرها في البحث والتحقيق والدرس الشخصي، فهي كانت تمثل الوجه الحضاري المشرق للقدس، خاصة إذا علمنا أن هناك على سبيل المثال مئات الأوقاف للإنفاق عليها. فقد تبين من نشر دفتر واحد من دفاتر المحفوظات العثمانية هو الدفتر رقم 522 الذي حرر في القرن العاشر الهجري، أنه كان يوجد في القدس الشريف تسعون وقفاً إسلامياً، منها ما كان على المدارس وقراءة القرآن وبعض كتب السيرة والحديث وعلى عشرات الأغراض الحضارية الأخرى[121].

أما أشهر الزوايا التي أُلحق بها مكتبات: الزاوية النقشبندية، التي كان يؤمها الحجاج الوافدون من باكستان، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند، والزاوية القادرية للحجاج الواردين من أفغانستان، وفي كل زاوية مسجد وغرف نوم وخزانة كتب ولها أوقاف[122]، ومنها الزاوية البخارية (النقشبندية) بالقدس التي ما تزال فيها مكتبة حتى يومنا هذا[123].

ج. المكتبات الخاصة:

لقد أحصى صلاح الدين المنجد 15 مكتبة خاصة لبعض الأسر المقدسية العريقة، والتي تزخر بنفائس الكتب الإسلامية[124]، ومن أبرز هذه المكتبات:

1. مكتبة ابن جماعة:

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن جماعة، خطيب المسجد الأقصى ومدرس المدرسة الصلاحية 725-790هـ/1324-1388م، وقد كانت مكتبته تزخر بنوادر الكتب والمخطوطات، وقال عنها ابن حجر العسقلاني: فيها من الكتب النفيسة ما يعز اجتماعه في أي مكتبة من المكتبات، فالشيخ برهان الدين كان يشتري النسخة من الكتاب التي إليها المنتهى في الحسن، ثم يقع له ذلك الكتاب بخط مُصنِّفه فيشتريه، ولا يترك النسخة الأولى؛ إلى أن اقتنى بخطوط المصنفين مالا يُعبَّر عنه كثرة[125].

2. مكتبة البديري:

نسبة إلى الشيخ محمد بن بدير القدسي ت 1220هـ/1805م، أحد علماء القدس الكبار، وهو ينحدر من أسرة البديري العريقة التي كانت لديها خزائن كتب محفوظة تبددت بعد أن اقتسموها، وآل قسم من محفوظاتها إلى الشيخ محمد البديري فجعلها في جناح خاص في داره التي أوقفها هي والمكتبة المعروفة باسمه بموجب حجة شرعية مؤرخة في 19 ذي الحجة 1205هـ/1790م. وكانت هذه المكتبة وما تزال بقية منها في دار الزاوية الوفائية المقابلة للمدرسة المنجكية (دار المجلس – دائرة الأوقاف اليوم) في باب الناظر، وتعرف باسم دار البديري، وكانت المكتبة تضم ألف مخطوط ما زالت منها بقية في حال يرثى لها، وهي بحاجة إلى الإنقاذ قبل أن تتلف كلياً. وقد صورها مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية[126]، كما جرى تصوير بعضها في الخمسينيات على يد معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية،وقد انتهت حياة المكتبة بنهاية صاحبها الشيخ موسى البديري.

3. مكتبة آل قطينة:

وتدعى أيضاً المكتبة الحنبلية لأن آل قطينة من العائلات الحنبلية القديمة، وقد تكون العائلة الحنبلية الوحيدة في القدس، ويرجع نسبهم إلى مجير الدين العليمي الحنبلي صاحب الأنس الجليل[127]. وتقع هذه المكتبة في سوق خان الزيت، ثمّ نقلت إلى بيت من بيوت آل قطينة بباب العمود، وقد ذكرها محمد كرد في خططه[128] وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية، وفيليب دي طرازي في خزائن الكتب العربية في الخافقين الذي قال إنها تشمل على أربعة آلاف مجلد في جملتها 800 مخطوط[129]، وأجمعوا على أنها كانت تشمل على مصنفات في الرياضيات والتاريخ والفلك والتنجيم والدراسات الإسلامية. وكانت كتب المكتبة موقوفة على المطالعين حتى أوائل القرن العشرين، ولكنها اختفت

وتفرقت مخطوطاتها بعد اغتصاب "إسرائيل" لفلسطين سنة 1948[130]، ويقال إن خليل يس قطينة أخذها معه سنة 1948، إلى دمشق، ولا يعلم عنها شيء بعد ذلك.

4. مكتبة الشيخ أحمد بن يحيى:

المشهور بالشيخ بالموقت، الذي ينحدر من أصول مغربية، وقد تولى الإفتاء للحنفية، فضلاً عن تدريسه في المسجد الأقصى ت 1171هـ/1757م. وقد وقف الشيخ الموقت كتبه بموجب وقفية مؤرخة في سنة 1181هـ/1767م، وجعلها صدقة جارية لطلبة العلم، وقد كانت تشتمل على كتب نفيسة، وقد بقيت منها بقية حتى أوائل القرن العشرين ثمّ تبعثرت، فنقل بعضها إلى المكتبة الخالدية، وأخذ بعضها الشيخ طاهر الجزائري إلى الظاهرية في دمشق[131].

5. مكتبة إسعاف النشاشيبي ت 1368هـ/1948م:

كانت في بيته في حي الشيخ جراح بشرق القدس، وكان فيها الكثير من النفائس والمخطوطات العربية والكتب الأجنبية، وقد سُرق معظم محتوياتها في سنة 1948، ولم يسلم منها سوى ما أهداه إسعاف النشاشيبي للمجمع العلمي العربي بدمشق من مخطوطات، والتي منها: ملخص من كتاب "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" تأليف عبد الرحمن العليمي نسخ سنة 1224هـ، و"تحرير المقال فيما ورد عن التعارض في حق الآل" للشيخ الكزبري الدمشقي، و"إعلام السائلين عن كتب المرسلين" لمحمد بن علي بن طولون، ورسالة أبي بكر الصديق لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بشأن البيعة، وغيرها[132]. قال يعقوب العودات بأنها مكتبة لا تشبهها مكتبة، أطبق عليها من لا خلاق لهم في نكبة 1948 عندما اجتاح بعض المرتزقة أحياء القدس العربية زعماً منهم أنها أحياء يهودية، فنهبوا مكتبة إسعاف وحملوها إلى مدينة الزرقاء بالأردن، وباعوها على مشهد مني بالرطل لأصحاب الأفران فذهبت طعمة للنيران[133].

6. مكتبة عبد الله مخلص:

وهذة المكتبة موجودة في حي الشيخ جراح، وقد كان عبد الله مخلص 1878-1947 من علماء التاريخ والآثار، وقد سكن عكا مدة طويلة، ثم انتقل إلى القدس وأصبح فيها مديراً عاماً للأوقاف، وكانت له مكتبة كبيرة في عكا بها من المخطوطات والكتب النادرة، فنقلها معه حيث كان يسكن في حي الشيخ جراح، وكانت تشتمل على 110 مخطوطات إلى جانب

أكثر من ثلاثة آلاف مجلد، وقد نقلت إلى دير القربان في سنة 1948، إلا أنها ضاعت تحت الأنقاض بعد أن نسف الصهاينة الدير[134].

7. مكتبة حسن بن عبد اللطيف الحسيني مفتي القدس ت 1226هـ/1811م:

كانت له مكتبة حافلة بالكتب أوقفها بموجب حجة شرعية مؤرخة في 1201هـ، مودعة في المحكمة الشرعية في القدس في سجل رقم 267[135]، تصرف فيها أخوال الورثة فبيعت بواسطة حسن الحشيم بائع الأشياء القديمة في القدس، ووصل منها ثلاث مخطوطات للسيد فهمي الأنصاري والأستاذ محمد البطراوي وتسرب بقيتها. ومن أبرز مقتنياتها كتابان في الطب والبيطرة، فضلاً عن الموضوعات الدينية واللغوية[136].

8. مكتبة الدكتور إسحق موسى الحسيني:

وهذه المكتبة موجودة في بيته في غرب القدس وكانت تضم زهاء أربعة آلاف كتاب، إلا أن هذه المكتبة قد احترقت في أثناء أحداث 1948. وبعد سنة 1948 أعاد الدكتور الحسيني إنشاء مكتبة جديدة في القاهرة، فكانت تضمّ زهاء خمسة آلاف كتاب، اشترت الجامعة الأردنية 1,500 كتاب منها، ونقل حوالي ألفين إلى القدس أهديت إلى مركز الدراسات الإسلامية فيها، وإلى مكتبة كلية الآداب للبنات، وبقي منها في القاهرة حوالي 1,500 كتاب[137].

9. مكتبة عبد الحي جار الله:

من المكتبات الخاصة التي اشتهرت في المدينة المقدسة في الفترة ما بين 1800-1830، وكانت تضمّ كتباً ومصنفات في مختلف الحقول، في النحو والتصوف والفلسفة، منها: "الأشباه والنظائر في النحو" لجلال الدين السيوطي، و"منارة الإبصار ومسارح الأفكار" لنزهة الرومي، و"تهافت الفلاسفة" لأبي حامد الغزالي، و"ديوان ابن الفارض" لعمر بن علي بن مرشد، و"منازل السابقين" لعمر بن مطرف الكاتب وغيرها[138].

10. مكتبة الشيخ حسام جار الله:

كانت هذه المكتبة تضمّ حوالي ألفي كتاب ومخطوطة في العلوم الإسلامية وعلوم العربية والأدب العربي، من بينها نسخة نادرة للقرآن الكريم مجلدة بجلد غزال، وكانت المكتبة محفوظة في خزائن، وقد سرقت سنة 1948[139].

11. مكتبة الشيخ سليمان أفندي المدرس:

كانت مكتبة حافلة بالمصادر الإسلامية من أبرزها: "المصابيح" لابن أبي داود السجستاني، و"البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة" لسراج الدين عمرو بن قاسم الأنصاري، كما اشتملت على بعض كتب الطب، وهي من المكتبات التي كانت عامرة في القرن 19[140].

12. مكتبة الشيخ محمد أفندي زادة:

وهو مفتي القدس في القرن 12 هجري ت 1152هـ/1739م وكانت مكتبته تعكس تنوع ثقافته، فقد كان فيها كتب دينية ولغوية، وفي العلوم والفلسفة والطب، منها كتاب "الرحمة في الطب" و"الحكمة" لمهدي بن علي المقري ت 815هـ/1412م[141].

13. مكتبة ابن قاضي الصلت:

وهو الشيخ يحيى شرف الدين بن محمد الشهير بابن قاضي الصلت 1040هـ/1630م، إمام المسجد الأقصى المبارك، أوقف كتبه سنة 1007هـ/1598م، والتي تضمّ الكثير من الكتب المشهورة في حقول مختلفة من الثقافة الإسلامية، حوالي مئة كتاب في الحديث والسيرة والتفسير واللغة والنحو والفقه والقراءات وعلم الكلام والفرائض والتاريخ والمنطق والجغرافية والتصوف والأخلاق والحساب وموضوعات أخرى متفرقة، وهي تعكس الثقافة العامة التي كانت شائعة لدى علماء القدس، وقد تفرقت هذه الكتب مع الزمن بين عدة مكتبات من أبرزها المكتبة الخالدية، ومكتبة المسجد الأقصى ومكتبة الشيخ محمد الخليلي[142].

14. مكتبة حسن الترجمان:

أسس هذه المكتبة حسن الترجمان الصالح، وكانت تشتمل على 900 مخطوط، فضلاً عن 2,600 كتاب[143].

15. مكتبة عارف العارف توفي سنة 1973:

من المكتبات الخاصة التي غدت بعد وفاته لاستخدام العامة، حيث تركت أمانة للورثة في المعهد العربي في أبي ديس، وسلمت للمعهد سنة 1979، وعدد كتبها 1,141 كتاباً باللغة العربية، وفيها 541 كتاباً باللغات الأخرى[144].

16. مكتبة شكي مكي:

وهي من المكتبات التي كانت تزخر بكتب الفقه والدراسات الإسلامية، ومن بين مقتنياتها: "جامع الفتاوى" للشيخ قرق الحميدي، و"المقصود لمن يتعاطى العقود" لأبي العباس أحمد بن عمر الباباني، و"ملتقى البحرين" للشيخ علاء الدين بن معروف وغيرها[145].

17. مكتبة الشيخ محب الدين محمد بن الدويك قاضي القدس:

وقد كانت تشتمل مكتبته على 150 كتاباً في التفسير والتصوف والأصول والقراءات والأدب والنحو، وهناك عدد من الكتب في الطب والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والمنطق[146].

18. مكتبة حسين أفندي نقيب الأشراف:

وقد كانت عامرة في القرن 19، ومن ضمن مقتنياتها كتاب "علم الكلام في علم الكرام" لزين الدين الملطي، و"تاريخ الخوارج" لمحمد بن قدامة[147].

19. مكتبة الشيخ عبد الله بن عبد الله النقرزان:

وهو من علماء القرن العاشر الهجري، وقد تضمنت تركته ستين كتاباً[148].

20. مكتبة محمد صنع الله الخالدي:

وقد كان رئيس كتّاب المحكمة الشرعية بالقدس ت 1140هـ/1727م وفي فهرست المكتبة الخالدية بالقدس مخطوط رقم 1457هـ عنوانه أسماء الكتب التي وقفها محمد صنع الله الخالدي على أولاده الذكور وأحفاده[149].

21. مكتبة الشيخ إمّت خليفة بن إبراهيم:

وهو من علماء القرن العاشر، وقد وقف كتبه على نفسه ثمّ على أولاده، فإذا انقرضوا آلت الكتب إلى مكتبة المدرسة الأرغونية في القدس، وعددها خمسون كتاباً[150].

22. مكتبة الشيخ شرف موسى الديري:

وهو إمام مسجد قبة الصخرة الشريفة سنة 984هـ/1576م، وقد ورد في حصر تركته أسماء أكثر من مئة كتاب جلها في الموضوعات الدينية واللغوية، وأكثرها من الكتب الشهيرة التي كانت متداولة في العالم الإسلامي[151].

23. مكتبة الشيخ عبد المعطي الخليلي:

وهو مفتي الشافعية بالقدس ومن علماء المسجد الأقصى ت 1154هـ/1741م وقد ورد ضبط تركته من الكتب في السجل 231 صفحة 65-66 لسنة 1154هـ/1741م من سجلات المحكمة الشرعية في القدس[152].

24. مكتبة فهمي الأنصاري:

تأسست سنة 1956 من نتاج رحلاته الخاصة في 36 دولة، وتحتوي مئتي مخطوطة دينية وأربع مخطوطات في الطب وثلاث في الفلك[153]، ومن نوادر مخطوطاتها: "واقعات المفتين" النسخة الأم، كما ورد فيها: "اشتراها الأنصاري من ورثة شموئيل سلمون"، ومن الغريب أنها كانت في الأصل لبدر يونس الحسيني؛ ومخطوطة "تذكرة الحاضر وزاد المسافر" لعبد الله بن جبريل بن عبد الله بن بختشيوع الطبيب المتوفي سنة 451هـ، وهي مخطوطة نادرة الوجود في العالم، وثلاث رسائل من رسائل إخوان الصفا، وهي الرسالة العاشرة القسم الثاني "الحاس والمحسوس"، والرسالة الحادية عشرة معنونة "بمسقط النطفة" والرسالة الثانية عشرة "في أن الإنسان عالم صغير". وقد ذكرت مجلة المقتطف سنة 1936 أن القسم الشرقي في جامعة برنستون Princeton University حصل على النسخ الأصلية من رسائل إخوان الصفا، وينقص منها الرسالة العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة، وهي النسخ المحفوظة في مكتبة الأنصاري[154].

25. مكتبة خليل الجاعوني:

وكان من مقتنيات هذه المكتبة: "المختار في فروع الحنفية" لأبي الفضل محمد، و"الجامع الصغير في النحو" للشيخ محمد بن شرف الكرجي[155].

26. مكتبة محمد النعاجي:

ومن مقتنياتها: تفسير البيضاوي المسمى بـ"أنوار التنزيل" لناصر الدين سعيد البيضاوي، وكتاب في الحساب، وكتاب في الحديث تحت مسمى "الرحمة"[156].

27. مكتبة محمد نسيبة:

ومن ضمن مقتنياتها: "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار"[157].

28. مكتبة محمود اللحام:

وهي تقع بضاحية سلوان شرقي القدس، وتربو كتبها عن أربعة آلاف مصنف.

29. مكتبة مروان العسلي:

كانت تضم زهاء 4,500 مجلد في مختلف الموضوعات، وقد بيعت إلى جامعة الخليل[158].

30. مكتبة أحمد سامح الخالدي ت 1371هـ/1951م:

تحتوي على أكثر من مئة مخطوط عدا الكتب المطبوعة، ومن مخطوطاتها نسخة من كتاب "الأنس الجليل" مؤرخة في سنة 910هـ، وكتاب "الخميس" للديار بكري، وغير ذلك من الكتب القديمة النفيسة[159].

31. مكتبة الشيخ خليل جواد الخالدي ت 1360هـ/1941م:

كان للخالدي معرفة واسعة بالكتب، وقد تفوق بعلم المخطوطات فأحكمه ونبغ فيه حتى أصبح علماً من أعلامه، وتعهد مكتبات الأستانة واستنسخ كثيراً من نوادر مخطوطاتها، وجمع في خزائنه الخاصة زهاء خمسة آلاف مجلد عربي بينها ألف مخطوط[160]. وكان مجموع ما فيها حسب الحجة الوقفية 3,480 كتاباً و500 مخطوط، وصل منها 759 كتاباً ومئة مخطوط، وقد ذكر عارف العارف أنها محفوظة في صناديق مقفلة حتى سنة 1947، وقد ضمت إلى مكتبة المسجد الأقصى سنة 1978[161].

وهناك عدد كبير من المكتبات الخاصة الأخرى منها: مكتبة حسن صدقي الدجاني ت 1357هـ/1938م، وخليل السكاكيني ت 1373هـ/1953م، وخزانة آل أبي اللطف وغيرها[162]. ومن الملاحظ على مقتنيات هذه المكتبات أنها انصبت على النحو واللغة والتصوف والفقه، وقليل منها تطرق للخلاف أو كتب الفرق الإسلامية، ولعل هذا يفسر حرص المجاورين على وحدة المدينة المقدسة، وعدم إشغال أهلها بما يفسد روح التسامح التي كانت سائدة فيها[163].

رابعاً: المكتبات غير الإسلامية:

1. مكتبات الأديرة والكنائس في بيت المقدس:

لقد قدم تاريخ مدينة القدس في ظلّ الحكم الإسلامي النموذج الأمثل لروح التسامح السامية مع جميع الطوائف التي كانت تشارك المسلمين الحياة والعيش في ربوع المدينة

المقدسة، فقد كان في القدس أكثر من عشرين ديراً وكنيسة، ملحق بمعظمها مكتبات تشتمل على نفائس الكتب[164] والوثائق المتصلة بشؤون الطوائف المسيحية في مدينة القدس منذ العصر البيزنطي وحتى الآن.

وكما تسابق المسلمون من حكام ومحكومين في بذل الأموال ووقف الأوقاف لتعزيز الهوية الإسلامية للمدينة المقدسة، كذلك تبارت الجماعات والدول غير المسلمة في تعزيز وجودها في هذه المدينة المقدسة، مستفيدة من روح التسامح لدى المسلمين واحترامهم لأهالي الشرائع السماوية. وقد عكست مقتنيات وأوقاف الكنائس والأديرة والكنس في بيت المقدس عالمية هذه الأوقاف، وقدمت خير شاهد على سمو الحضارة الإسلامية التي كانت طوال تاريخها تقابل الإساءة بالإحسان، والغدر والخيانة بالصفح والعفو.

لقد شاركت الدول والأفراد من مختلف أنحاء أوروبا الغربية والشرقية في إثراء الحركة المكتبية في القدس، فضلاً عن نصارى ويهود العالم الإسلامي، مما يفسر هذا التنوع والتعدد في اللغات التي كتبت بها مقتنيات تلك المكتبات، والتي زادت عن 11 لغة منها اللاتينية، والسريانية، والحبشية، والروسية، والعبرية، والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والتركية، والعربية... وغيرها، ومن أبرز تلك المكتبات التي تعكس من خلال مسمياتها هذا التنوع والتعايش والتسامح في مدينة القدس ما يلي:

أ. مكتبة الفرانسيسكان:

تقع في الشمال الغربي من حارة النصارى في البلدة القديمة داخل أسوار القدس الشرقية. تأسست منذ تأسيس دير اللاتين سنة 1561، وكانت المكتبة في البداية مكونة من كتب الرهبان التي جلبوها معهم عند التحاقهم بالدير، ثم تطورت وأصبحت مكتبة عامة يمكن للباحثين من خارج الدير الاستفادة منها، مع أنها ليست معروفة للعامة.

يبلغ عدد كتبها اليوم 42 ألف كتاب وهي مكتوبة بلغات مختلفة مثل الإيطالية، والفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية، والألمانية، واللاتينية، والعربية، وتتناول موضوعات تتعلق بتاريخ الكنيسة واللاهوت والفلسفة، وكتابات السياح عن الأراضي المقدسة. كما تحتفظ بمجموعة من المخطوطات والوثائق النادرة والثمينة لا يسمح بالوصول إليها لأهميتها القصوى إلا بإذن خاص، فهي تعدّ من وجهة نظر بعض الباحثين من أغنى مكتبات العالم بما تحويه من الوثائق المتعلقة بالأراضي المقدسة، والتي حافظ عليها الرهبان منذ أكثر من سبعة قرون[165].

ولعل من أهم الوثائق التي اشتملت عليها مكتبة هذا الدير الوثائق المتعلقة بالفترة المملوكية والفترة العثمانية، وهي عبارة عن الفرمانات الصادرة عن حكام المماليك والعثمانيين والخاصة بالعلاقات بين هؤلاء الحكام والرهبان الفرانسيسكان، وتتكون هذه الفرمانات من مجموعتين؛ مجموعة عربية تتعلق بالرهبان وعلاقاتهم مع السلطة المملوكية منذ عهد بيبرس البندقداري حتى عهد قانصوه الغوري. والمجموعة الثانية هي مجموعة تركية تضم الوثائق المتعلقة بالرهبان الفرانسيسكان في ظلّ الحكم العثماني. ويبلغ عدد الفرمانات التركية 454 فرماناً، منها ما يتعلق بكنيسة القيامة والأديرة الأخرى.

وتضم هذه المكتبة من الوثائق التاريخية ما مجموعه 2,644 وثيقة مختلفة[166]، يرتقي تاريخ أقدمها إلى سنة 764هـ/1363م، في عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين سلطان مصر 764-778هـ/1363-1377م[167]. وهذه الوثائق والمخطوطات تشتمل ضمن ما تشتمل عليه: مراسيم سلطانية عامة، وحجج شرعية صادرة من قضاة القدس تتعلق بشؤون النصارى المدنية أو توثيق العقارات.

ويعدّ الأب ايوتيمو كاستلاني Eutimio Castellani أول من نبه لأهمية الوثائق العربية في هذا الدير، فقد انتهى في سنة 1822 من وضع فهرس للمجموعة العربية والتركية مصحوباً بتعريف موجز لكل وثيقة، ثمّ أعقبه الأب جيرولامو جولوبوفتش Girolamo Golubovich فنشر مرسومين صادرين من السلطان قايتباي في كتابه الذي طبع في سنة 1316هـ/1898م عن تاريخ رؤساء دير صهيون. وفي سنة 1341هـ/1922م تفرغ بعض علماء الفرانسيسكان لنشر فهرس مستوفٍ لتلك الوثائق بلغتها العربية مع ترجمتها إلى اللغة الإيطالية، وأخيراً قام الأب نوربرتو ريشاني Norberto Risani في سنة 1350هـ/1931م بنشر كل ما وقع تحت يده من مجموعات الوثائق العربية خلال الفترة الممتدة 764-885هـ/1363-1480م. غير أن التعريف بهذه الوثائق ونشر ما نشر منها إنما تمّ في إطار كتابة تاريخ الآباء الفرانسيسكان بالأراضي المقدسة، وعلاقاتهم بالسلطنتين المملوكية والعثمانية[168].

ب. مكتبة البطريركية الأرثوذكسية (دير الروم):

تقع في حارة النصارى قرب كنيسة القيامة إلى الشمال منها، وقد أسست في القدس سنة 451 للميلاد ويقيم فيها بطريرك الروم الأرثوذكسي منذ سنة 1846، وتعود محفوظات المكتبة إلى مجموعة من المكتبات، منها مكتبة دير مار سابا، ومكتبة دير

المصلبة، ومجموعة القبر المقدس، وقد ضمت بعضها إلى بعض في سنة 1865، وهي من أغنى المكتبات من حيث قيمة المخطوطات المحفوظة فيها والتي يبلغ عددها 2,400 مخطوطة محفوظة في 11 لغة منها: اليونانية والعربية والسريانية، وثلاث أرباع المخطوطات باللغة اليونانية إذ يبلغ عدد مخطوطاتها 1,800 مخطوط، وقد كتبت معظم المخطوطات بين القرن 5-18 ميلادي، ومن أهم هذه المحفوظات: عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرهبان والمسيحيين كافة، والعهدة العمرية، وعهد منسوب إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وتأكيداً للعهدة العمرية من قبل السلطان سليم العثماني، وغيرها من الوثائق التي تؤكد امتيازات الروم الأرثوذكس في المدينة المقدسة[169]. ولقيمة هذه المخطوطات لا يسمح لأحد بالوصول إليها إلا بإذن خاص من البطريرك أو مساعده[170]، وقد وضع لها في سنة 1883 فهرس مطبوع[171]، وفي سنة 1897 نشر الوثائقي اليوناني أ. بابادوبولوس كيراميوس A. Papadopoulos-Kerameus، كتاباً في أربعة مجلدات سمّاه منتخبات من الوثائق المقدسية، وتغطي الوثائق فترة طويلة من العصر البيزنطي وحتى العصر العثماني، وفيه فهرس لمئات الوثائق العربية والتركية[172].

ج. مكتبة دير الأرمن (دير مار يعقوب):

بني هذا الدير سنة 1165، وفيه أكبر مجموعة من الوثائق الأرمنية القديمة في العالم، ويرجع بعضها إلى القرون المسيحية الأولى، وهي حافلة بالمعلومات والمصورات البديعة التي لا يباح الاطلاع عليها إلا بإذن خاص من البطريرك أو نائبه.

وقد أسست في الدير سنة 1929 مكتبة أرمنية ضخمة، فيها أكثر من 60 ألف مجلد، أما الوثائق التي يبلغ عددها 3,700 مخطوط فهي محفوظة في كنيسة مارثيودور التي بنيت في القرن 13 ميلادي في داخل الدير.

وتحتفظ مكتبة الدير بمجموعة من الوثائق المملوكية والعثمانية، والتي تتعلق بصورة عامة بحقوق الأرمن في الأماكن المقدسة، والممتلكات الدينية، وقضايا الحج والضرائب، فضلاً عن المراسيم التي أصدرها الحكام المسلمون للجالية الأرمنية[173].

د. مكتبة دير السريان (دير مار مرقص):

يقع هذا الدير في حارة الشرف بين حارتي الأرمن واليهود، وتعدّ مكتبته من أقدم المكتبات في القدس، وهي ما تزال حافلة بالمخطوطات والرقوق والوثائق، ومن ضمن مقتنياتها وثائق وفرمانات وأوامر سلطانية عديدة، جمعها وفهرسها يوسف اسطفان

السرياني بأمر من غبربيل أنطون مطران السريان بالقدس سنة 1925. وقد أشار إلى أن أقدم الوثائق الإسلامية يرجع تاريخها إلى سنة 825هـ/1421م، وأحدثها مؤرخ في سنة 1306هـ/1888م، وهي مكتوبة باللغة العربية وبعضها الآخر مكتوب باللغة التركية. ويقول الكونت فيليب دي طرازي إنه اطلع على فهرس المخطوطات المحفوظة بهذا الدير فوجدها 362 مخطوطاً، بينها عدد وافر مكتوب على رق الغزال، ومنها ما هو مزين بالصور الرائعة، منها صكوك وحجج قديمة وفرامين سلطانية ورسائل خطيرة، استند إليها بعض الباحثين في تواريخ المشرق ولا سيّما بيت المقدس[174].

هـ. مكتبة بطريركية اللاتين:

تقع داخل أسوار البلدة القديمة قرب الباب الجديد، تأسست سنة 1848، لخدمة الكهنة داخل الدير فقط، تضمّ 43 ألف مجلد منها ما هو نادر وقديم ومنها ما هو حديث وبلغات أجنبية مختلفة، خاصة باللغة الفرنسية، وهناك أيضاً المخطوطات والخرائط القديمة وأهمها الخرائط الفلسطينية[175].

و. مكتبة القديسة آن:

تقع داخل أسوار القدس في البلدة القديمة، قرب باب الأسباط، تأسست سنة 1883، وهي مكتبة خاصة لخدمة الباحثين في تاريخ الكنيسة الشرقية، وتشتمل على 40 ألف مجلد، معظمها باللغة الفرنسية بالإضافة إلى لغات أخرى كالإنجليزية والإيطالية واليونانية والألمانية والعربية. وتضمّ المكتبة شتى أصناف المعرفة إلا أن الصبغة الغالبة عليها هي الصبغة الدينية، وهناك مخطوطات عربية عن الطقوس الدينية تعود إلى القرن 17 ميلادي، وهي محفوظة بمكان خاص لا يسمح باستعمالها[176].

ز. مكتبة بطريركية الروم الكاثوليك:

تقع هذه المكتبة في القدس الشرقية قرب باب الخليل، وقد تأسست سنة 1890 لخدمة الرهبان داخل الدير. يوجد فيها حوالي ثلاثة آلاف كتاب بلغات مختلفة، تتضمن موضوعات متنوعة فمنها الكتب الدينية والفلسفية والتاريخية واللاهوتية[177].

ح. مكتبة كنيسة القديسة مريم:

ذكر بعض الحجاج المسيحيين الذين زاروا بيت المقدس في العصر المملوكي بأنه كان يوجد مكتبة رائعة بجوار كنيسة القبر المقدس [178].

وتأتي المكتبات السابقة فضلاً عن عشرات المكتبات الأخرى التي كانت ملحقة بالكنائس والأديرة، والتي منها على سبيل المثال: مكتبة القبر المقدس، ومكتبة دير الدومينيكان، والآباء البيض[179]. وقد أشارت الحجج الشرعية أنه كان في دير السلطان كتب بلغة الحبش[180].

2. مكتبات النوادي والجمعيات:

أ. مكتبة المركز الثقافي الفرنسي في القدس:

وقد تأسست هذه المكتبة سنة 1937، وكانت تشتمل على أربعة آلاف كتاب.

ب. مكتبة جمعية الشبان المسيحية:

وكانت هذه الجمعية قد أنشئت في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1873، وفي سنة 1933 افتتحت لها فرعا في القدس في مبنى فخم أقيم لهذا الغرض، وقد بلغ عدد كتبها في سنة 1945 حوالي 22 ألف كتاب باللغتين العربية والإنجليزية.

ج. مكتبة المجلس الثقافي البريطاني:

وقد تأسست هذه المكتبة سنة 1944 وكان بها ستة آلاف كتاب.

د. خزانة الآثار الأمريكية.

هـ. مكتبة المجمع العلمي الأثيري البروتستانتي.

و. مكتبة دار الآثار البريطانية:

وقد تأسست هذه المكتبة سنة 1920.

إلى جانب المكتبات التي أنشأتها حكومة الانتداب، وألحقتها بدوائرها الرسمية، ومنها مكتبة دائرة الزراعة التي وضعت نواتها، وكذلك مكتبة دائرة المعارف في سنة 1920، ومكتبة العدل العليا سنة 1925، ومكتبة دائرة الإحصاءات، ودار الإذاعة، ودائرة المطبوعات سنة 1944[181].

فضلاً عن عشرات المكتبات الأخرى للبعثات الأجنبية المختلفة، والتي تقدم خير دليل على سماحة الإسلام والمسلمين الذين حفظوا حرية ممارسة العبادة وقاموا بنشر المعرفة.

خامساً: نظام المكتبات في القدس:

لا يكاد يختلف نظام المكتبات في المدينة المقدسة عن غيره من المكتبات في العالم الإسلامي، فكان يطلق على مكتبات القدس القديمة كما على سائر المكتبات الأخرى في المدن الإسلامية اسم الخزائن[182]. وكانت الخزائن تصنع عادة من الخشب، وفي بعض الأحيان من خشب البلوط الذي يتميز بالصلابة والجمال، وكانت لها أقفال تحفظ عند خازن المكتبة[183]. المكتبات بمختلف أنواعها عبارة عن قاعة مفروشة تحف بها خزائن الكتب، ولا توجد فيها أماكن محددة للمطالعة مزودة بالطاولات والمقاعد، بل تتم القراءة في أي مكان في المسجد أو الزاوية أو المدرسة أو السكن الملحق بتلك المباني.

واتصفت المكتبات الإسلامية بشكل عام بالترتيب والنظام حسب الإمكانات المتوفرة في ذلك الوقت، فكانت الكتب ترتب على رفوف الخزائن بعضها فوق بعض الصغير فوق الكبير أي أنها لم تكن تصف عمودياً وإنما كانت تبسط أفقياً[184]، وذلك لتنوع المواد التي كانت تكتب عليها هذه الكتب، فبعضها كان مكتوباً على رق الغزال والآخر على أوراق البردي، فصعّب اختلاف أنواع الورق وأشكاله وأحجامه صفها عمودياً، وقد خصص للمصاحف والربعات الشريفة صناديق مربعة الشكل على درجة عالية من الزخرفة والبهاء لتوضع فيها احتراماً وتعظيماً لشأن القرآن الكريم[185]، فضلاً عن أن معظم هذه المصاحف، خاصة المحفوظة في المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، كانت هدايا ملوكية من حكام وولاة وأثرياء العالم الإسلامي[186].

وكان ترتيب الكتب داخل خزائن الكتب يختلف من مكتبة إلى مكتبة، إلا أن التقسيم الموضوعي كان هو الأساس، فكانت المصاحف توضع على رأس هذه الموضوعات تليها كتب التفسير ثم الحديث الشريف والسيرة ثم كتب الفقه فالأصول والتوحيد والتصوف والقراءات والفرائض ثم كتب اللغة والأدب فالعلوم والحساب والمنطق والطب[187]. وكانت فهارس المكتبات ترتب في مجلد أو أكثر، وكانت هذه الطريقة متبعة في المكتبات الإسلامية عامة، وكانت بعض هذه المكتبات تثبت على باب غرفة الكتب نفسها قوائم تبين ما بداخلها من كتب[188].

1. الجهاز الإداري والفني للمكتبة:

أ. خازن الكتب: ويسمى أيضاً شاهد خزانة الكتب[189] أو خازن الكتب والربعات الشريفة[190] أو أمين المكتبة[191]. وكان يشترط فيمن يتولى هذا المنصب التمتع بصفات

أخلاقية رفيعة، فضلاً عن الخبرة الفنية والعلمية العالية، فقد حرص الواقفون لهذه المكتبات على أن يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ممن عرف بالثقة والأمانة واليقظة والذكاء والقدرة على القيام بخدمة الكتب مع معرفة ودراية بتنظيمها، وحرص على خدمة طلبة العلم وإرشادهم إلى ما يحتاجونه من الكتب[192]. وقد حددت وثائق الوقف المهام الواجب أن يقوم بها خازن الكتب بشكل مفصل، خاصة في العصر المملوكي، والتي يمكن تقسيمها على النحو التالي:

- المهام العامة: الإشراف على شؤون المكتبة، وتعيين الموظفين المؤهلين ومراقبة عملهم، وإدارة شؤون المكتبة المالية، والاهتمام بالبناء وصيانته وترميمه، وتزويد المكتبة بالسجاد والأثاث اللازم.

- المهام الفنية: وتبدأ هذه المهمة بتسلم الكتب وفق محضر خاص وحضور شهود على ذلك، وإحراز الكتب بالخزائن المحددة لها في المكتبة، ومن ثم تعهد هذه الكتب بالرعاية عن طريق الحرص عليها وحفظها من الضياع والأرضة والتلف والعث، وحبكها عند احتياجها للحبك، وترميم وتجليد ما يحتاج منها لذلك، وإصلاح ما تمزق منها، وإحلال الجديد مكان القديم، ونفضها من الغبار وتعهدها على العادة، هذا بالإضافة إلى فهرستها وتنظيم إعارتها[193].

- المهام الثقافية: مساعدة الباحثين والقراء في الوصول إلى الكتب والمعلومات التي يبحثون عنها، لذا كان يجري كما تقدم اختيار خازن الكتب من الأشخاص ذوي الاطلاع ومعرفة الكتب، حيث نجد أن بعض مكتبات بيت المقدس أدارها أعلام العلماء نذكر منهم على سبيل المثال: شمس الدين محمد بن أحمد بن حبيب الغانمي المقدسي، الذي كان يتولى خزانة كتب المسجد الأقصى في أواسط القرن التاسع[194]. ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الخليلي أمين مكتبة الصخرة في سنة 1010هـ/1601م، كما تولى أمانة كتب الصخرة في القرن 11 هجري الشيخ بشير الخليلي، وبعد وفاته تولى ولداه الشيخ إبراهيم والشيخ عبد الرحمن، وكان ذلك في 5 صفر 1060هـ/1651م[195]. وكان يصرف للخازن راتب شهري، وذلك من ريع الوقف المخصص للمكتبة التي يشرف عليها. وزيادة في الحرص على الكتب الموقوفة، نجد بعض الواقفين ينص على ضرورة عزل الخازن واستبدال غيره إذا ما بدت منه خيانة أو تقصير[196].

ب. النساخ: كان يعمل في مكتبات القدس العامة إلى جانب خازن الكتب مجموعة من الموظفين، منهم النساخ الذين كانوا يقومون بعدة مهام من أبرزها: استنساخ الكتب المهددة بالتلف، بشكل جزئي أو كلي أو الاقتصار على الصفحات التالفة أو التي مزقت لسبب أو لآخر في أثناء التداول والاستعمال، أو استنساخ الكتب النادرة والمهمة. وقد تخصص عدد من العلماء المشهورين في نسخ المصاحف الشريفة طلباً للأجر والثواب، لا بل إن بعض سلاطين المسلمين قاموا بنسخ عدد من نسخ المصحف الشريف وأوقفوها على كل من المسجد الحرام والنبوي والمسجد الأقصى. وقد حفظ لنا مؤرخ القدس والخليل مجير الدين الحنلبي أسماء عدة نساخ في مساجد القدس ومدارسها، منهم: قاضي القضاة أبو الخير محمد بن محمد بن عمران الغزي شيخ الحنفية ت 894هـ/1488م الذي نسخ العديد من المصاحف، وتاج الدين عبد الوهاب المؤدب ت 873هـ/1468م الذي اشتهر بحسن خطه، وشهاب الدين أحمد بن محمد الكردي الحلبي ت 881هـ/1476م[197]، ومنهم أبو العباس زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي 668هـ الكاتب المُجيد الذي كان متفنناً وسريعاً بالكتابة، حتى أنه كان يكتب في اليوم إذا فرغ تسعة كراريس[198]، ومحمد بن أحمد بن قدامة الجماعيلي الشهير بالشيخ أبي عمر ت 607هـ/1210م، كان سريع الكتابة وربما كتب في اليوم كراستين بالقطع الكبير[199]. ونسخ أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي (668هـ/1269م) كتاب "المغني" لابن قدامة عدة مرات، وكتب "تاريخ الشام" لابن عساكر مرتين[200].

ج. المترجمون: لقد اشملت مكتبات القدس بمختلف أنواعها على مؤلفات كتبت في أكثر من 11 لغة، منها: العربية والفارسية والحبشية واللاتينية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والروسية والأرمنية والسريانية والتركية، ومن أجل فهرستها والتعريف بها نجد أن هناك نخبة من المترجمين قد ظهروا في بيت المقدس، خاصة في مكتبات الأديرة والكنائس منهم: الأب ايوتيمو كاستلاني، والأب جيرولامو جولوبوفتش[201]، ويوسف اسطفان السرياني[202] وغيرهم. علماً بأن تنوع الطوائف والجاليات المقيمة في القدس من مختلف الأجناس والأديان والمذاهب قد ساعد على ازدهار حركة الترجمة في المدينة المقدسة وتبادل المؤلفات والكتب.

د. المناولون: ومهمة المناولين إحضار الكتب للقارئ، وكان يطلق عليهم "مفرقي الرقعة الشريفة" في المكتبات المدرسية، وكانت من مهامهم تفريق المصاحف الشريفة على الطلبة للقراءة فيها ثمّ جمعها، وكذلك من مهامهم المحافظة على مكتبة المدرسة[203].

□□. **المجلدون:** ومهمتهم تجليد الكتب وحبك ما يحتاج منها إلى حبك، ولم تكن مهمة المجلد مهمة خالية من الذوق والإبداع، بل كان يسهم بوضع لمساته الفنية في أثناء التجليد، من خلال الزخارف والرسومات التي يزين بها هذه الكتب، فيكتمل عمله مع عمل النساخ لإعطاء البهاء والرونق الذي تمتعت به المخطوطات الإسلامية[204].

2. مواعيد فتح المكتبة:

لم تحدثنا المصادر التي بين أيدينا عن مواعيد موحدة للدوام في مكتبات القدس، بل كان لكل مكتبة خصوصيتها التي تحددها وثيقة الوقف الخاصة بها، والتي في العادة تحدد مواعيد فتح المكتبة وشروط الانتفاع بها، فعلى سبيل المثال كانت المكتبة الخالدية العمومية تفتح أبوابها من الصباح إلى المساء طول أيام الأسبوع لجميع طلبة العلم، كما ورد في برنامجها المعلن سنة 1900[205]، وبعضهم كان يشترط فتح الخزانة يومين في الأسبوع لطلبة العلم، وهناك من يربط مواعيد فتحها بمواعيد الدروس التي تلقى بالمكان الذي أُلحقت المكتبة به سواء أكان مسجداً أم زاوية، أم مدرسة أم رباطاً[206]. وكذلك الحال بالنسبة للأديرة والكنائس، التي كانت في الغالب حكراً على الرهبان والقساوسة داخلها، إلا أن بعض المكتبات الملحقة بهذه الأديرة أخذت نظاماً عصرياً منذ مطلع القرن العشرين فأصبحت لها أوقات محددة تفتح أبوابها فيها خلال أيام الأسبوع.

3. نظام الاطلاع والاستعارة:

بما أن معظم المكتبات في القدس تقع تحت مظلة الأوقاف فكان الذي يتحكم في نظام الاطلاع والاستعارة هو ما تنص عليه وثيقة الوقف، والتي كانت تحدد بدقة النظام الذي يحكم التعامل مع الكتب الموقوفة. وفي أغلب الأحيان كان يسمح بالاستعارة الداخلية للكتب ولا يسمح بالاستعارة الخارجية، حرصاً على المصلحة العامة، كما نصّ بذلك برنامج المكتبة الخالدية على سبيل المثال[207]، بل إنه منع حتى الاطلاع الداخلي على من يعرف عنه التفريط، وهذا ما أكدت عليه وقفية الشيخ محمد الخليلي الذي اشترط في وقفيته أن لا تُعار الكتب "إلا لطلبة العلم المشهورين بالصلاح ممن هو مقيم في بيت المقدس، وعدم إعارة من اشتهر بتضييع الكتب أو تمزيقها"[208]، "والضن بها على من ليس من أهلها، وبذلها للمحتاج إليها كما قال السبكي"[209].

ويبدو أن المكتبات الملحقة بالزوايا والخانقاه، والتي كان يقيم فيها طلبة العلم بشكل مستمر، كان فيها مرونة أكثر في نظام الإعارة، ويرجح أن نظام الإعارة فيها لم يشذ عن

نظام الإعارة في المدن الإسلامية الأخرى التي كانت تسمح لطلبتها باستعارة الكتب لمدة شهر على الأكثر للانتفاع بها، وسمح لهم بأخذ الكتب إلى مساكنهم في تلك المدارس أو الزوايا أو الخانقاه. فقد جاء في إحدى الوقفيات:

> ومن حضر (أي الخازن) من طلبة العلم الشريف من أهل الخانقاه المذكورة لاستعارة شيء من الكتب المذكورة، سلم إليه إن كان ثقة، وإن كان يخشى منه منعه إلا أن يضمنه نفر من أهل الخانقاه المذكورة ولا يعير شيئاً من الكتب.... أكثر من شهر واحد.... وإذا كان المستعير من غير أهل الخانقاه المذكورة، سلم إليه ما يريد استعارته يطالع فيه نهاراً بالخانقاه المذكورة فيه، ثمّ يبيتها عند الخازن، ثمّ يستعيرها منه نهاراً[210].

وفي بعض مكتبات الأديرة لا يسمح الاطلاع على بعض المحفوظات إلا بإذن خاص من مسؤول الدير أو نائبه[211]. وبما أن معظم طلبة العلم المقيمين في المدارس والزوايا والخانقاه في القدس من الغرباء والفقراء، فقد كانت تعطى لهم الأولوية في الاستعارة في معظم المدن الإسلامية بما فيها القدس، فقد جاء في كتاب "معيد النعم ومبيد النقم" للإمام السبكي ما نصه: "وأن يقدم في العارية الفقراء، الذين يصعب عليهم تحصيل الكتب، على الأغنياء"[212].

وزيادة في الحرص على الكتب وخوفاً عليها من الضياع شرط بعض الواقفين أن يقوم الخازن بكتابة أسماء من يطلب منه كراساً، ثم إذا أعاده مسح اسمه[213]، وهناك من اشترط ألا يخرج الكتاب إلا برهن يحرز قيمته[214]. وقد غدا بمثابة العرف أن يطلب الواقف للكتب ثمناً رمزياً ممن يستفيد من الكتب هو في الغالب قراءة القرآن، أو دعاء يوهب لروح الواقف، وعادة ما يوضع هذا الشرط على الصفحة الأولى من الكتاب أو على جلد الكتاب أو في نهاية المقدمة أو نهاية الكتاب، وهي عادة جارية في كثير من البلدان الإسلامية حتى اليوم[215].

4. نظام التزويد:

لقد كان المورد المهم لتزويد المكتبات الإسلامية على مرّ فترات تاريخنا هو نظام الوقف للكتب، باعتبار وقفها من الأعمال الخيرية التي تكفر الذنوب[216]، وقد أوردت لنا كتب التراجم أسماء عشرات العلماء والفضلاء والسلاطين والأمراء الذين أوقفوا كتباً في المساجد والزوايا والخانقاه في بيت المقدس، والتي وضعت تحت تصرف طلبة العلم.

فقد كان في المسجد الأقصى في القرن الثالث الهجري 16 صندوقاً كبيراً من المصاحف المسبلة[217]، وعندما فتح صلاح الدين الأيوبي القدس حمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات مُعظَّمات، ما تزال بين أيدي الزائرين "على كراسيها مرفوعة وعلى أسرتها موضوعة" على حد تعبير العماد الأصفهاني[218]. وجاء في العقد الفريد لابن عبد ربه ت 328هـ/940م قوله "وفي المسجد الأقصى سبعون مصحفاً، وفيه من الكبار التي في الورقة منها جلد، ستة مصاحف على كراسي تجعل فيها"[219].

وعلى مرّ الزمان كان السلاطين والأمراء والحكام والأتقياء عامة يتبرَّكون بوقف المصاحف والكتب في بيت المقدس، ومن هؤلاء على سبيل المثال: الملك المعظم ت 656هـ/1258م الذي أوقف كتباً من جملتها "إصلاح المنطق" لأبي يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت، وقد اطلع مجير الدين الحنبلي ت 927هـ/1520م على كراسة منه بخط ابن الخشاب، وعلى ظهر الكراسة الوقف، وهو مؤرخ في التاسع من ذي الحجة 610هـ/1213م[220].

وأهدى السلطان الملك الأشرف برسباي سنة 836هـ/1432م مصحفاً إلى المسجد الأقصى يعدّ من أثمن المصاحف التي وصلت إلى القدس، وهو مكتوب على ورق صقيل بالحبر الأسود، وبخط الثلث المتقن، ومُشَكّل الأحرف، ومتوسط عرض الحرف (حوالي أربعة ملمترات)، أما حركات وعلامات الوقف فعبارة عن دوائر ذهبية داخلها نقوش، وأسماء السور مكتوبة بالحبر الأبيض داخل مستطيل له خلفية ذهبية، وعلى طرفي المستطيل زخارف هندسية بألوان زرقاء وحمراء وبيضاء، وجميع ألفاظ الجلالة الواردة في المصحف مكتوبة بماء الذهب، ويبلغ طول المصحف 110 سم وعرضه 190 سم، وكان هذا المصحف قد أهدي إلى السلطان برسباي سنة 836هـ في أثناء مروره بدمشق وهو في طريقه إلى آمد، فأهداه بدوره إلى القدس الشريف، وخصص له قارئاً وخادماً، ووقفاً لذلك[221]. ومن السلاطين الذين وقفوا المصاحف والكتب في بيت القدس السلطان الأشرف إينال، الذي تولى السلطنة سنة 857هـ/1453م[222]، والظاهر جقمق الذي اعتلى العرش سنة 842هـ/1438م[223]، والسلطان سليمان القانوني، والوزير سنان باشا، وأنوار باشا العثماني وغيرهم[224].

وكتب السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ت 752هـ/1351م، سلطان المغرب، بخط يده مصحفاً أهداه إلى المسجد الأقصى، ويقع في ثلاثين جزءاً

مكتوب على رق الغزال، وكل جزء يحويه جلد ناعم الملمس من رق الغزال مخيط بخيوط دقيقه من الذهب والفضة، وعلى كل الوجهين زخارف هندسية وكتابية، وكل وجه محاط بشريط زخرفي عبارة عن خيوط ذهبية وفضية متداخلة محددة من الداخل والخارج بزوجين من الخطوط الفضية، وقد كتب بخط مغربي جميل. كان مداده من فتيت المسك وعطر الورد، وربما أضيف إليها في بعض الأحايين الزعفران الشعري، لأن الخط يشتد سواده وإشراقه في بعض الصفحات ويصفر في البعض الآخر، وكل صفحة تتضمن خمسة سطور، ومما يؤسف له أن خمسة أجزاء قد فقدت فقام بكتابتها بعض المغاربة على ورق أبيض جيد، وأكملت به الربعة الشريفة في ذي الحجة الحرام سنة 1221هـ/1806م والتي تسمى في بيت المقدس بـ"ربعة سلطان المغرب"، وقد عين لقراءتها عندما أوقفها في أواخر ذي الحجة سنة 745هـ صباح كل يوم 18 نفساً، منهم 15 من حفاظ القرآن العظيم، على أن يكونوا من المغاربة المالكيين وخادمين من المسلمين، وأوقف على ذلك عدة مرافق في مدينة الرملة الفلسطينية[225]. وقد شاهد هذه النسخة عبد الله مخلص سنة 1341هـ/1825م، كما أشار إليها ابن خلدون في تاريخه[226]، وتعدّ من أروع المصاحف التي وردت إلى المسجد الأقصى وما زالت محفوظة في المتحف الإسلامي في القدس. وتحتفظ القدس بحوالي 650 مصحفاً تعود إلى الفترات الإسلامية، ومكتوبة بخطوط مختلفة؛ كالكوفي والمغربي والنسخي والثلث، ومعظمها كان وقفاً على المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وجزءاً منها كان وقفاً على بعض المساجد القديمة في المدن الفلسطينية الأخرى، حيث تعوّد حكام المسلمين والولاة والأمراء تخليد ذكرهم بوقف المصاحف وكتب التفسير عند توليهم الحكم أو زيارة القدس في المسجد الأقصى وقبة الصخرة وتعيين القراء لتلاوتها ووقف الأوقاف لخدمتها[227].

ومن العلماء الذين أوقفوا كتبهم على بيت المقدس الفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ت 490هـ/1096م[228]، ومنهم إمام النحاة والأصوليين إمام المسجد الأقصى المبارك الشيخ يحيى شرف الدين محمد بن قاضي الصلت ت 1040هـ/1630م، والذي كان يسكن هو وعائلته في المدرسة الأرمينية الكائنة في الرواق الشمالي لساحة الحرم، وفي الطابق الثاني من مبنى المدرسة كانت مكتبة الشيخ في إحدى الغرف التي أوقفها على طلبة العلم في 15 رجب 1007هـ. وتعدّ وقفية الشيخ الصلت وثيقة في غاية الأهمية للتأريخ الفكري والثقافي للمدينة المقدسة في القرنين 10 و11 هجري، فهي تعرفنا بالكتب التي كان يتداولها المثقفون من أهل القدس، فضلاً عن رسمها للجو الثقافي الذي كان سائداً في

تلك الفترة، وإلى جانب ذلك فهي تعكس لنا الاهتمامات الثقافية الخاصة لصاحبها، الذي يعدّ علماً من أعلام الدراسات الإسلامية والعربية في مدينة القدس. فقد أوردت الوقفية عناوين أكثر من مئة كتاب في فروع الثقافة الإسلامية المختلفة من حديث وسير وتفسير ولغة ونحو وفقه وقراءات وعلم كلام وفرائض، وتاريخ ومنطق وجغرافيا وتصوف وأخلاق وحساب...إلخ. ومن الملاحظ أنه قد أسهم في تأليف هذه الكتب الموجودة في مكتبة الشيخ علماء من 15 قطراً إسلامياً بمفهوم الأقطار اليوم (مصر، والعراق، والمغرب، واليمن، والأندلس، وفارس، وتركستان، وأفغانستان، وتركيا، وأوزبكستان، والشام، وغيرها)، فضلاً عن أن من بين هذه المؤلفات ما كان متداولاً في شتى حواضر العالم الإسلامي آنذاك، مثل تفسير البيضاوي، وتفسير الزمخشري، وصحيحي البخاري ومسلم وشروحهما، وكتب النووي والسيوطي والأسنوي وابن حجر العسقلاني. وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على حركة تبادل الكتب وانتقالها بين طلبة العلم، والحرص على استنساخها وتوفيرها للطلبة. وقد قام المرحوم الدكتور كامل العسلي بتحليل هذه الوثيقة بدراسة إضافية[229].

ومن موارد مكتبات القدس، وخصوصاً مكتبة المسجد الأقصى، أن كثيراً من العلماء كانوا يحرصون على أن يرسلوا نسخة من مؤلفاتهم إلى المسجد الأقصى لتحفظ في خزائنه، ومن هؤلاء؛ الإمام موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلي الكواشي المفسر ت 680هـ/1281م الذي أرسل نسخة من كلا مصنفيه؛ الكبير والصغير إلى القدس[230].

وهكذا تقدم لنا مسيرة المكتبات في القدس المثال الحي على ما بذله الأجداد في مختلف العصور من جهد في دعم مكانة المدينة المقدسة وتعزيزها لتقف منيعة صامدة في وجه كل طامع، فقد كان الوقفُ الداعمَ الأهم للثقافة والعلم، عندما كان الكتاب غالي الثمن في وقت لم تعرف فيه الطباعة، وكان نسخ الكتاب أو شراؤه لا يقوى عليه السواد الأعظم من طلبة العلم، فكانت الأوقاف الوسيلة الناجعة لتوفير المال والكتب لنشر المعرفة والكتب بين طلبة العلم، وتوفير العلم للجميع بطريقة مجانية، وفق نظام محكم نلمسه من خلال نصوص وقفيات الكتب والمدارس والزوايا[231].

خاتمة:

من خلال معالجة هذا الموضوع خرجت الدراسة بالملاحظات الآتية:

1. يعدّ تحرير المدينة المقدسة من الاحتلال الصليبي سنة 583هـ/1187م، على يد القائد صلاح الدين الأيوبي بداية الانطلاقة الكبرى للمؤسسات التعليمية والمكتبات في مدينة القدس، لأن صلاح الدين الأيوبي أدرك بثاقب بصره وبصيرته أن تحصين المدينة المقدسة بالثقافة والعلم لا يقل أهمية عن تحصينها بالقلاع والحصون والأسوار، فالصراع كما بدا له وللأمة صراع حضاري، لذا غدا تعزيز هويتها الثقافية ومرابطة العلماء وطلبة العلم فيها، وبناء المساجد والزوايا والرباطات والمكتبات؛ يشكل في نظر الأمة لوناً من ألوان الجهاد في سبيل الله.

2. تقدم لنا المؤسسات التعليمية والمكتبات في بيت المقدس دليلاً واضحاً وشاهداً حياً على مكانة المدينة المقدسة في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وذلك من ملاحظة هذا الكم الهائل من الأوقاف على المكتبات ودور العلم بمختلف أشكالها، هذه الأوقاف التي أسهم فيها المسلمون حكاماً ومحكومين من مختلف أرجاء المعمورة، لا بل تكاد تكون معظم مدن فلسطين وقفاً على مدينة القدس. ولعل الناظر في سجلات المحكمة الشرعية في القدس يقدر هذه الحفاوة والمحبة التي يكنها أبناء الأمة الإسلامية لأولى القبلتين وثالث الحرمين، تلك المحبة التي جعلت حكام المسلمين يخطّون بأناملهم المصاحف لإهدائها إلى القدس، لا بل يندر أن نجد عالماً يشار إليه بالبنان لم يُهدِ بعض كتبه للمدينة المقدسة.

3. إن دراسة المؤسسات التعليمية والمكتبات في بيت المقدس تقدم لنا صورة حية عن الحركة العلمية والثقافية في المدينة المقدسة عبر تاريخها، وتوضح لنا تشابك العلاقات الثقافية لهذه المدينة مع بقية الحواضر الإسلامية. ولعل الناظر في تراجم علماء القدس يجد أنهم ينتمون إلى معظم حواضر العالم الإسلامي، فقد كانت القدس قبلة للعلماء وطلبة العلم، خاصة بعدما بدأت الحواضر الإسلامية الكبرى تتهادى بأيدي الإسبان والتتار.

4. إن تاريخ المؤسسات التعليمية والمكتبات في بيت المقدس يوضح بشكل جلي روح التسامح التي تميزت به الحضارة الإسلامية، وذلك من خلال محافظتها على

المؤسسات التعليمية والمكتبات للكنائس والأديرة، فكانت في الحفظ والصون شاهدة على سمو الروح الحضارية الإسلامية.

5. تعدّ مكتبة الشيخ الخليلي التي تأسست سنة 1138هـ/1725م أول مكتبة عامة يوقفها أحد سكان القدس.

6. إن المؤسسات التعليمية والمكتبات في القدس تعرضت منذ فترة مبكرة للعديد من عمليات النهب والتخريب على يد الصهاينة، بقصد طمس الوجه العربي الإسلامي لهذه المدينة، فضلاً عن عمليات النهب التي قام بها الرعاع في فترات الفوضى والاضطرابات أعقاب الأحداث الكبرى، التي تعرضت لها المدينة منذ مطلع القرن العشرين وحتى اليوم.

7. تعدّ سجلات المحكمة الشرعية، والتي تقع في حوالي مئة ألف صفحة في القدس، ثروة علمية ضخمة لا يستغني عنها أي باحث لتاريخ بلاد الشام، خاصة في فلسطين في العصر العثماني.

8. إن المؤسسات التعليمية والمكتبات الخاصة تقدم لنا صورة عن أشهر العائلات المقدسية والإسلامية التي كانت لها الريادة في مجال العلم والثقافة، فضلاً عن الاهتمامات العلمية للنخب.

9. تعدّ مكتبة الفرانسيسكان في القدس، من وجهة نظر بعض الباحثين، من أغنى المكتبات في العالم بما تحويه من وثائق تتعلق بالأراضي المقدسية، والتي حافظ عليها الرهبان منذ أكثر من سبعة قرون. كما أن مكتبة دير الأرمن، والتي تشمل على أكبر مجموعة من الوثائق الأرمنية القديمة في العالم والتي يرجع بعضها إلى القرون المسيحية الأولى، من المكتبات الفريدة في العالم.

10. إن قطاع التعليم في القدس العربية في الوقت الحاضر يعدّ من أوسع القطاعات؛ سواء من حيث الحجم السكاني الذي ينضوي تحته والمتمثل بأعداد الطلبة والجهاز التعليمي أم من حيث العدد الكبير من المؤسسات التربوية التي يشملها.

11. تعدّ مؤسسات التربية والتعليم اليوم أحد أبرز قلاع الصمود والتصدي لعمليات تهويد القدس.

12. إن تاريخ المؤسسات التعليمية والمكتبات في فترة الحكم الإسلامي تمثل تجربة فريدة للتثاقف بين الأجناس والتعايش بين الأديان على المستويين المحلي والعالمي، حيث كانت تلك المؤسسات مفتوحة للمغربي والكردي والمصري واليمني والشامي والأندلسي والهندي والفارسي وغير المسلم... في لوحة من التجاور والتعايش عزّ نظيرها.

13. تعدّ مدينة القدس من أكثر مدن العالم أوقافاً على المؤسسات الثقافية والمكتبات، إذ يوجد في كيلومتر مربع واحد، وهي مساحة المدينة القديمة داخل السور، أكثر من 274 مَعْلَماً وقفياً للمسلمين واليهود والنصارى. أما في المدينة داخل السور وخارجه فقد كان هناك 240 محراباً، و28 سبيلاً، و16 خاناً، وأكثر من 170 مكتبة ملحقة بمدرسة ومسجد وكتّاب، و70 زاوية صوفية، فضلاً عن 59 ديراً وكنيسة نصرانية، و14 كنيساً لليهود، ناهيك عن المستشفيات.

14. إن فلسطين تكاد تكون كلها وقفاً إسلامياً على المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية في بيت المقدس، فلا تكاد توجد مدينة أو قرية لا يكون فيها وقف للقدس، لا بل إن أوقاف القدس انتشرت في قارات العالم سواء للمسلمين أم لأهل الذمة.

15. يندر أن نجد حاكماً مسلماً منذ العصر الأيوبي، مروراً بالعصر المملوكي، وانتهاءً بالعصر العثماني؛ لم يترك أثراً وقفياً خيرياً في القدس، يخدم فيه مسجداً أو مدرسة أو كتّاباً للأيتام.

16. إن أوقاف القدس الثقافية، خاصة الإسلامية منها، حولتها إلى جامعة عالمية مفتوحة يقصدها طلبة العلم والعلماء من مختلف أرجاء المعمورة، خصوصاً بعد تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي.

17. كان للإنفاق السخي على المؤسسات التعليمية في القدس أثر كبير في انتشار التعليم في القدس.

18. إن أفضل الكفاءات العلمية كانت تدرس في مدارس الأطفال (الكتاتيب) في الحقبة الإسلامية، وهذه نظرة تربوية متقدمة، لم تلتفت لها المؤسسات التربوية المعاصرة إلا في فترة متأخرة.

19. إن من أخطر الأساليب التي اتبعها الصهاينة من أجل تهويد المؤسسات التعليمية في القدس تدمير الأوقاف الإسلامية والنصرانية عن طريق المصادرة أو الهدم أو تحويلها إلى ثكنات عسكرية أو ملاهٍ ليلية، لأنها ترى في تلك الأوقاف شهادة على عروبة فلسطين، وتذكرهم دوماً بأنهم لصوص وغرباء عن الأرض المقدسة، ناهيك عن كونها الشريان الذي يمد المؤسسات التعليمية بالحياة.

20. إن 43% من جموع الطلبة المتسربين من المدارس يعود سبب تسربهم إلى العامل الاقتصادي، ناهيك عن 69% من سكان القدس يقعون تحت خط الفقر، وهذا يتطلب دعماً عاجلاً من الأمة لأهالي القدس لتعزيز صمودهم.

توصيات:

1. الإسراع في تنفيذ توصيات اتحاد الجامعات الإسلامية والعربية في تخصيص مقرر يحمل اسم "تاريخ القدس"، ليكون متطلباً عاماً في الجامعات الإسلامية والعربية لتعريف أبناء الأمة بتجربة هذه المدينة الفريدة في التعايش والتسامح بين الأديان، وما ترتب عليها من أمن وسلام ورخاء إبان الحكم الإسلامي، فضلاً عن التأكيد على عروبة القدس وإسلاميتها.

2. إنتاج فيلم تسجيلي عن المؤسسات التعليمية في بيت المقدس، والتعريف بالدور الإنساني الذي قامت به عبر حقب التاريخ الإسلامي.

3. العمل على تأسيس جمعية دولية تشارك فيها الهيئات والجمعيات العربية والإسلامية وغير الإسلامية لحماية الإرث الثقافي لهذه المدينة، لأنه إرث إنساني، تجب المحافظة عليه، فضلاً عن تفعيل توصيات المنظمات الدولية التي نصت على اعتبار الإرث الثقافي في القدس إرثاً إنسانياً مهدداً بالخطر وتجب المحافظة عليه.

4. إبراز ما تتعرض له المؤسسات التعليمية في المدينة المقدسة من تهديد وأخطار من قبل الصهاينة في المحافل الدولية ووسائل الإعلام المختلفة.

5. العمل على توأمة مدارس القدس مع المدارس العربية والإسلامية لدعمها معنوياً ومادياً، لتعزيز صمودها أمام مخططات الصهاينة.

6. إحياء سُنّة الوقف في العالم الإسلامي لدعم المؤسسات التعليمية في المدينة المقدسة، إلى جانب إحياء أوقافها التي تعطلت عن تأدية دورها بسبب الإهمال أو قلة الموارد. وهذا يتطلب بثّ الوعي بين أثرياء الأمة لممارسة دورهم لتعزيز صمود أبناء القدس، والمحافظة على هوية أولى القبلتين وثالث الحرمين.

7. توجيه طلبة الدراسات العليا والباحثين لمزيد من الدراسات حول تجربة المؤسسات التعليمية الوقفية لهذه المدينة المقدسة، وما قامت به تلك المؤسسات من دور في بث ثقافة التعايش والسلم والمحبة بين البشر على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومعتقداتهم.

8. إن مدارس القدس بحاجة لعمليات إنقاذ عاجلة، لترميم مدارسها وبناء مدارس جديدة لاستيعاب الطلبة الجدد، إلى جانب دعم كادرها التعليمي، وتعزيز صمود المدارس العربية أمام مخططات التهويد الصهيونية.

9. الاحتفال في كل عام بإحياء ذكرى شخصية من الشخصيات الإسلامية التي أسهمت في خدمة الحركة الثقافية في المدينة المقدسة.

10. إحياء مسميات المؤسسات التعليمية والثقافية والمكتبات المقدسية، من خلال إطلاق مسمياتها على أجنحة المكتبات الجامعية في الوطن العربي.

11. جمع التاريخ الشفوي للمدينة المقدسة، خاصة فيما يتعلق بتاريخ المؤسسات التعليمية في نصف القرن الماضي.

12. دعم وتطوير التعليم المهني في القدس.

13. العناية برياض الأطفال.

والحمد لله رب العالمين.

الملاحق

1. عدد سكان القدس حسب الجنس لسنة 2007[232]:

نوع التجمع	عدد الأسر	ذكور	إناث	كلا الجنسين
حضر	59,927	155,440	149,951	305,391
ريف	6,511	18,498	18,200	36,698
مخيمات	1,465	4,124	3,838	7,962
المجموع	**67,903**	**178,062**	**171,989**	**350,051**

2. عدد الطلبة الملتحقين بالتعليم الأساسي في محافظة القدس حسب الجنس سنة 2007[233]:

الجنس	ذكور	إناث	كلا الجنسين
المرحلة الأساسية (6-15) عاماً	14,293	13,718	28,011
المرحلة الثانوية (16-17) عاماً	2,550	2,523	5,073
المجموع	**16,843**	**16,241**	**33,084**

3. تطور عدد الطلبة في مدارس القدس حسب الجهة المشرفة خلال الأعوام الدراسية 1995/1994-2009/2008:

السنة	مدارس الأوقاف	مدارس المعارف والبلدية	المدارس الخاصة	مدارس الوكالة
1995/1994	4,921	18,796	10,181	2,424
1997/1996	7,037	21,912	11,994	2,445
1999/1998	8,386	25,097	13,327	2,978
2001/2000	9,892	27,617	11,706	2,787
2003/2002	11,142	35,273	11,926	3,135
2005/2004	11,796	37,881	13,489	3,548
2007/2006	12,132	49,983	15,649	3,647
2008/2007	12,431	*52,580	17,839	3,572
2009/2008	12,136	غير متوفر	19,748	3,444

* يشمل هذا الرقم طلاب مدارس سخنين الذين يُقدر عددهم بحوالي 3,818.

4. أسماء بعض مدارس القدس المعاصرة:

- مدرسة النهضة الإسلامية.
- مدرسة الفتاة اللاجئة الثانوية (ب).
- مدرسة شرفات.
- مدرسة دار الأيتام (د).
- مدرسة الدوحة الأساسية.
- مدرسة الروضة الحديثة.
- مدرسة دار الفتاة اللاجئة الأساسية (أ).
- مدرسة الثوري.
- مدرسة حسني الأشهب في الرام.
- مدرسة رياض الأقصى، صور باهر.
- مدرسة الأمة، ضاحية البريد.
- مدرسة صور باهر.
- مدرسة دار الأيتام الإسلامية، باب السلسلة.
- مدرسة الأيتام الإسلامية (ج).
- مدرسة الأيتام الإسلامية (د).
- مدرسة الأيتام الإسلامية الثانوية (الثوري).
- مدرسة دار الأيتام الإسلامية (أ)، البلدة القديمة.
- مدرسة دار الأولاد، القدس وادي الجوز وهي مدرسة خاصة.
- مدرسة جمعية جبل المكبر.
- مدرسة النهضة الأساسية، البلدة القديمة.
- مدرسة النهضة الأساسية، حارة النصارى.

- مدرسة النظامية القدس، بيت حنينا.
- مدرسة الشابات المسلمات، وادي الجوز.
- مدرسة الفتاة اللاجئة (أ)، وادي الجوز.
- مدرسة الفتاة اللاجئة (ج).
- مدرسة الروضة الحديثة، الشيخ جراح.
- مدرسة مار متري، البلدة القديمة وهي مدرسة خاصة.

هوامش الفصل السادس

[1] انظر: أبو اليُمن مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** (عمّان: 1973)، ج 1، ص 232.

[2] هناك من يذهب أنه تتضاعف في القدس الحسنات والسيئات، **المرجع نفسه**، ص 230.

[3] هيثم الكيلاني وآخرون، **القدس والحال الفلسطيني وقراءات في الأمن القومي العربي** (عمّان: مؤسسة عبد الحميد شومان، 1999)، ص 121-122.

[4] البخاري، **صحيح البخاري** (بولاق: 1296هـ/1879م)، ج 2، ص 52-53؛ وورد الحديث أيضاً في الترمذي وأبو داود وهناك أكثر من 18 طريقاً لهذا الحديث؛ وابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج 3، كتاب فضل الصلاة (20) باب مسجد بيت المقدس حديث رقم 1197.

[5] لأنها أرض رباط وموطن الطائفة المنصورة إلى يوم الدين، حسبما ورد في الحديث الصحيح؛ وانظر: سعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي، **بيت المقدس في الحديث الشريف** (دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، 2003)، ص 179-192؛ ولمزيد من التفاصيل عن الأعلام الذين زاروا القدس انظر: مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 101، 269، 285-300؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 14، ص 4؛ وابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج 2، ص 137-140، 156-157، 210-211.

[6] عبد اللطيف الطيباوي، **القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام** (عمّان: وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، 1981)، ص 13؛ وانظر: Hayter Lewis, *The holy places Of Jerusalem*, p. 26.

[7] هيثم الكيلاني وآخرون، **القدس والحال الفلسطيني**، ص 121-122.

[8] انظر المقدمة في: ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي، **فضائل بيت المقدس** (دمشق: دار الفكر، د.ت)، ص 22-24.

[9] كامل جميل العسلي، **الطابع الإسلامي الدولي للعلماء الذين أموا القدس**؛ وعارف العارف، **تاريخ الحرم القدسي**، ص 109.

[10] نقولا زيادة، **رواد الشرق العربي في العصور الوسطى** (القاهرة: 1943)، ص 42-54.

[11] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 36-50.

[12] يوسف غوانمة، **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي** (عمّان: دار الحياة، 1982)، ص 107.

[13] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 50؛ وكامل جميل العسلي، "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس،" من **ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي** (بغداد: المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون بالتعاون مع معهد البحوث والدراسات العربية، 1983)، ص 97.

[14] كامل العسلي، "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس،" ص 98.

[15] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 50؛ وكامل العسلي: "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس".

[16] **الموسوعة الفلسطينية** (بيروت: 1990)، القسم الثاني، ج 3، ص 302؛ وكامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 376؛ وابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص 302.

[17] عارف العارف، **تاريخ القدس**، ص 267-269.

[18] كامل العسلي، "مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس،" ص 98.

[19] **المرجع نفسه**، ص 102.

[20] كارين أرمسترونج، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث**، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني (بيروت: 1998)، ص 506-507.

[21] رؤوف سعد أبو جابر، **الوجود المسيحي في القدس خلال القرنين التاسع عشر والعشرين** (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)، ص 71-72.

[22] كامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 162.

[23] **المرجع نفسه**.

[24] **المرجع نفسه**.

[25] **المرجع نفسه**.
[26] **المرجع نفسه**، ص 159-168.
[27] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 302؛ وكامل جميل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 376؛ وابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص 302.
[28] كامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 162.
[29] **المرجع نفسه**.
[30] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 302؛ وكامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 376؛ وابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص 302.
[31] عبد اللطيف الطيباوي، **القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام**، ص 37-38.
[32] **المرجع نفسه**، ص 39.
[33] **المرجع نفسه**، ص 41.
[34] الجبرتي، **عجائب الآثار**، ج 2، ص 205.
[35] **المرجع نفسه**.
[36] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 287.
[37] العماد الأصفهاني، **الفتح القسي قي الفتح القدسي**، ص 151؛ وابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، ص 55.
[38] سلامة محمد البلوي، "المثاقفة بين العرب والغرب التجربة الأندلسية نموذجاً،" مجلة **المؤرخ المصري**، العدد 29، 2006، ص 206-209.
[39] انظر: تقرير وضع التعليم في مدارس القدس العربية للعام الدراسي 2008/2007 من إعداد سعاد القدومي، نائب مدير عام التعليم العام في وزارة التربية الفلسطينية.
[40] انظر: **التعليم في القدس**، سلسلة التقرير المعلوماتي (6) (مؤسسة القدس الدولية: بيروت، 2009)، ص 22.
[41] http://www.moehe.gov.ps/publcations/quds rebort.doc
[42] نشرت جريدة **الدايلي ستار** The Daily Star التي تصدر باللغة الإنجليزية في بيروت بتاريخ 1969/11/5 قائمة مطولة بأسماء الأشخاص الذين أبعدوا حتى ذلك اليوم من القدس.
[43] تقرير وزارة التربية والتعليم الفلسطينية 2004/8/7.
[44] وحدة شؤون القدس، قطاع التعليم في القدس الشريف للعام الدراسي 2008/2007م، السلطة الوطنية الفلسطينية، وزارة التربية والتعليم العالي.
[45] انظر تقرير وضع التعليم في مدارس القدس العربية للعام الدراسي 2008/2007 من إعداد سعاد القدومي.
[46] http://www.moehe.gov.ps/publcations/quds rebort.doc
[47] محسن محمد صالح، **القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة 2001**، ط 2 (كوالالمبور: بترا، 2002)، ص 90؛ ورفيق النتشة وإسماعيل ياغي، **تاريخ مدينة القدس** (عمّان: دار الكرمل، 1984)، ص 157.
[48] علي الدجاني وعرفان نظام الدين، **القدس: إيمان وجهاد** (بيروت: 1971)، ص 43.
[49] **المرجع نفسه**.
[50] **المرجع نفسه**، ص 48.
[51] أسماء عبد الهادي فاعور، **فلسطين والمزاعم اليهودية** (بيروت: دار الأمة، 1990)، ص 195.
[52] عن تهويد القدس انظر على سبيل المثال: علي الدجاني وعرفان نظام الدين، **القدس: إيمان وجهاد**؛ ومحمد صالح يونس، **أوراق عن القدس** (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية: 2002)، ص 133-178.
[53] أسماء فاعور، **فلسطين والمزاعم اليهودية**، ص 194؛ وروحي الخطيب، **تهويد القدس** (عمّان: مطبعة التوفيق، 1971)، ص 30.
[54] روحي الخطيب، **تهويد القدس**، ص32؛ وعن مخطوطات البحر الميت انظر: محمود العابدي، **مخطوطات البحر الميت** (عمّان: دائرة الثقافة والفنون الأردنية، 1967).
[55] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 287.
[56] عارف العارف، **تاريخ الحرم القدسي**.
[57] أحمد بن محمد ابن الفقيه الهمذاني، **البلدان** (بيروت: عالم الكتب)، ص 100-101.

[58] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 1، ص 339.

[59] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 16، 96، 380-386، 443-445؛ وكامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 376-377.

[60] كامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 377.

[61] كانت مدرسة للنحو والأدب أنشأها الملك المعظم.

[62] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 449-450.

[63] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 302.

[64] حاتم أبو هلال، "مكتبة المسجد الأقصى المبارك،" في **ندوة المكتبات في بلاد الشام 26–1992/10/28** (دمشق: مكتبة الأسد الوطنية، 1992)، ص 209-214.

[65] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 302؛ وعن نفائس المخطوطات في دار كتب المسجد الأقصى انظر: أسعد طلس، "دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها،" **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، المجلد 20، 1945، ص 240-241.

[66] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 451؛ و**موسوعة المدن الفلسطينية**، ط 1 (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ودائرة الثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية، 1990)، ص 601-603؛ وعبد الجليل حسن عبد المهدي، **الحركة الفكرية في ظلّ المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي** (عمّان: مكتبة الأقصى، 1980)، ص 274، 275.

[67] محمد كرد علي، **خطط الشام** (بيروت: 1971)، ج 6، ص 195.

[68] **موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 601-602؛ وأحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص 286.

[69] محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** (القاهرة: 1355هـ/1936م)، ج 6، ص 301.

[70] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 302.

[71] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 449-450.

[72] حسن عبد اللطيف الحسيني، **تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر**، تحقيق سلامة صالح نعيمات (عمّان: 1985)، ص 13.

[73] أسعد طلس، "دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها،" **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، المجلد 20، 1945، ص 237.

[74] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص449؛ أحمد الخليلي، **وثيقة مقدسية تاريخية**، تحقيق إسحق موسى الحسيني وأمين أبو ليل (القدس: مطبعة دار الأيتام، 1979)؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات** (عمّان: مؤسسة آل البيت، 1990)، ج 3، ص 893؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 289-290؛ ومحمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 6، ص 195-196.

[75] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين** (بيروت: 1947)، ج 1، ص 124؛ و**الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني**، ج 3، ص 305.

[76] كامل جميل العسلي، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، ص 170-178؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات** (عمّان: مؤسسة آل البيت، 1990)، ج 3، ص 894؛ و**موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 601-603؛ وأحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص 287-288.

[77] **موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 601-603؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 894.

[78] مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين**، القسم الثاني، ج 1، ص 137.

[79] كامل العسلي، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، ص 170-178.

[80] محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 6، ص 201.

[81] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج 1، ص 143.

[82] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 449.

[83] أسعد طلس، "دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها،" **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، المجلد 20، 1945، ص 236-237، ولمزيد من التفاصيل انظر أيضاً: المجلد 21، 1946.

[84] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 305.

[85] كامل العسلي، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، ص 170-178؛ وأحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص 287-288.

[86] عبد الله مخلص، "نفائس الخزانة الخالدية في القدس الشريف،" **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، المجلد 4، 1924، ص 409-413.

[87] أمين أبو ليل، "المكتبات الإسلامية في بيت المقدس،" من ندوة المكتبات في الأرض المحتلة، عمّان، المركز الثقافي الملكي، 11-13/11/1991، ص 3-4.

[88] الرباط المنصوري، أسسه المنصور قلاوون سنة 681هـ/1282م.

[89] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 302؛ وأحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص 77-78.

[90] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص449.

[91] كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ج 1، ص 39-47.

[92] مروان فايز أبو خلف، "المتحف الإسلامي – الحرم الشريف – القدس – تاريخه ومحتوياته،" **المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام: فلسطين**، المجلد 1، ص 302-307.

[93] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 285.

[94] أحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص295.

[95] **المرجع نفسه**.

[96] **المرجع نفسه**، ص 78. لمزيد من التفاصيل عن هذه المخطوطات انظر: محمود العابدي، **مخطوطات البحر الميت** (عمّان: 1967).

[97] خيرية قاسمية، **قضية القدس**، ص55-58؛ ذكرت بأن المتحف أسس سنة 1930 واكتمل سنة 1948.

[98] فوزي غندور، "استطلاع عن مكتبة متحف الآثار الفلسطيني،" مجلة **رسالة المكتبة**، عمّان، المجلد 2، العدد 1، 1967، ص 24-28.

[99] **المرجع نفسه**.

[100] **المرجع نفسه**.

[101] أمين أبو ليل، "المكتبات الإسلامية في بيت المقدس،" ص 4؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 294.

[102] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 449.

[103] كامل العسلي، **وثائق مقدسة تاريخية**، المجلد 1، ص 10-15؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 303، وقد ذكرت أن عدد السجلات 660 سجلاً تغطي الفترة من 934هـ/1527م وحتى الآن.

[104] وصل عدد سكان القدس سنة 963هـ/1555م إلى 12,500 شخصاً، وفي سنة 1849 أصبح 11,682، وفي سنة 1871 أصبح عددهم 14,352، ووصلوا في سنة 1922 إلى 62,600، انظر: **الموسوعة الفلسطينية:** القسم الثاني، الدراسات الخاصة، ج 6، ص 802؛ و**القدس في التاريخ** (مجموعة بحوث)، ص 237، 279.

[105] أنشأ المماليك وحدهم حوالي أربعين مدرسة، منها على سبيل المثال أكثر من أحد عشر مدرسة حول الحرم، انظر: مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 33-49، 561-596؛ وعن مدارس القدس انظر أيضاً: **القدس في التاريخ** (مجموعة بحوث)، ص 219؛ ويوسف غوانمة، **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**، ص 155-177؛ وعلي السيد علي، **القدس في العصر المملوكي**، ص 152.

[106] حرص الأيوبيون والمماليك والعثمانيون على تشجيع الأوقاف المتعلقة بالمؤسسات العلمية لتعزيز المذهب السنيّ، وللحرص أيضاً على الظهور أمام رعاياهم بمظهر الحماة للإسلام، المدافعين عن الثقافة الإسلامية.

[107] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 449-450.

[108] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 34، 386؛ ومحمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 2، ص 119؛ و**موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 600-601.

[109] الخانقاه: كلمة مركبة من أصل فارسي (خانكاه)، ومعناها دار التعبد لإيواء الصوفية المنقطعين للعبادة، ويذكر أن زيد بن صبرة هو أول من أقام في البصرة، في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، مسكناً لإقامة بعض المسلمين حتى يتفرغوا للعبادة طوال اليوم، إلا أن أول إشارة تدل على إقامة خانقاه في الإسلام كانت في حوالي القرن الرابع الهجري.

[110] أسعد طلس، "دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها،" ص 238.

[111] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 34؛ وعارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 451؛ وفيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ص 294؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 286.

[112] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 449.

[113] كامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 168-169، 373؛ ومحمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 6، ص 117.

[114] كامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 372؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، 286.

[115] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 179.

[116] أحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص 286.

[117] تقي الدين المقريزي، **السلوك** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)، القسم 1، ج 4، ص 525.

[118] سعيد عبد الفتاح عاشور، "بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك،" **المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام: فلسطين**، المجلد 1، ص 100.

[119] علي السيد علي، **القدس في العصر المملوكي**، ص 166؛ وكامل العسلي، **وثائق مقدسة تاريخية**، ص 117؛ ومحمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 6، ص 117.

[120] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 385-398؛ ومحمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 6، ص 116-124.

[121] **أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين**، نشرة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، إسطنبول، 1982، ص 20-56.

[122] عن ربط القدس وزواياها انظر: محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 6، ص 148-150.

[123] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 286.

[124] زياد عبد العزيز المدني، **مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245هـ/1800-1830م**، ط 1 (منشورات بنك الأعمال، 1996)، ص 282-285.

[125] ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج 1، ص 40.

[126] كامل العسلي، **وثائق مقدسة تاريخية**، المجلد 2، ص 291-293؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 288، 306؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 893؛ وفيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ص 294.

[127] أسعد طلس، "دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها،" ص 238؛ وعن خزائن القدس انظر: محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 6، ص 195-196.

[128] محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 6، ص 195.

[129] محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج 4، ص 125.

[130] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ص 293.

[131] **التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ص 894؛ وفيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج 1، ص 143، ج 2، ص 475.

[132] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 451؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ص 893؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 288.

[133] **مجلة المجمع العلمي العربي**، دمشق، المجلد 5، ج 2، عدد شباط، 1343هـ، ص 61، فقد جاء في هذا العدد: "أهدى أديب فلسطين إسعاف بك النشاشيبي أحد أعضاء المجمع العلمي إلى مكتبة المجمع مجموعة مخطوطات".

[134] يعقوب العودات، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين** (عمّان: 1976)، ص 627.

[135] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 296، 306؛ وأحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، 286؛ وأسعد طلس، "دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها،" ص 238؛ وفيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ص 294.

[136] **التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 893.

[137] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 288.

[138] **المرجع نفسه**، ص 306.

[139] زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245هـ/1800-1830م**، ص 282-285.

[140] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 306.

[141] زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245هـ/1800-1830م**، ص 282-285.

[142] حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج 1، ص 836.

[143] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 290-291.

[144] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ص 293؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 306.

[145] أمين أبو ليل، المكتبات الإسلامية في بيت المقدس، دراسة مكتوبة باليد مقدمة إلى ندوة المكتبات في الأرض المحتلة، المنعقدة في المركز الثقافي الملكي، عمّان، 11-1991/11/13، ص 6.

[146] زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245هـ/1800-1830م**، ص 282-285.

[147] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 289.

[148] زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245هـ/1800-1830م**، ص 282-285.

[149] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 289.

[150] **المرجع نفسه**.

[151] **المرجع نفسه**.

[152] **المرجع نفسه**.

[153] أمين أبو ليل، المكتبات الإسلامية في بيت المقدس، دراسة مكتوبة باليد مقدمة إلى ندوة المكتبات في الأرض المحتلة، المنعقدة في المركز الثقافي الملكي، عمّان، 11-1991/11/13، ص7.

[154] المرجع نفسه.

[155] زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245هـ/1800-1830م**، ص 282-285.

[156] **المرجع نفسه**.

[157] **المرجع نفسه**.

[158] أسعد طلس، "دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها،" المجلد 4، 1924، ص 239.

[159] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 306.

[160] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج 1، ص 294.

[161] **المرجع نفسه**، ص293.

[162] أمين أبو ليل، "المكتبات الإسلامية في بيت المقدس،" ص 5.

[163] أحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص 286.

[164] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 401-402.

[165] السيدة فيراكوسا، "مكتبات الأديرة في منطقة القدس وبيت لحم: دراسة حالة،" في **ندوة المكتبات في بلاد الشام 26-1992/10/28** (دمشق: مكتبة الأسد الوطنية، 1992)، ص 40.

[166] كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ج 1، ص 59-60.

[167] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج 2، ص 477.

[168] أحمد سيد دراج، **وثائق دير صهيون بالقدس الشريف** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968)، ص 17-21؛ وفيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ص476-477.

[169] كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ج 1، ص 54-58؛ وفيراكوسا، "مكتبات الأديرة في منطقة القدس وبيت لحم،" ص45-46؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 307.

[170] ذكرت فيراكوسا في بحثها: "مكتبات الأديرة في منطقة القدس وبيت لحم،" ص 45-46، أن هذه المكتبة تأسست سنة 1800 لخدمة الرهبان في الدير، وأنها تشتمل على 14 ألف كتاب، منها 500 باللغة العربية، والبقية باللغات الإنجليزية والألمانية واليونانية والروسية وغيرها.

[171] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج 2، ص 475.

[172] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 307.

[173] كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ج 1، ص 65-67، 71-72؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 308.

[174] فيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج 2، ص 478-479.

[175] فيراكوسا، "مكتبات الأديرة في منطقة القدس وبيت لحم،" ص 43-44.

[176] **المرجع نفسه**، ص 41.

[177] **المرجع نفسه**، ص 46-47.

[178] علي السيد علي، **القدس في العصر المملوكي**، ص 171.

[179] **موسوعة المدن الفلسطينية**، ص 602.

[180] زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها خلال الفترة 1215-1245هـ/1800-1830م**، ص 282.

[181] عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، ص 449-450؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 295.

[182] **التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 838.

[183] كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ج 1، ص 157 (وقفية الشيخ شرف الدين يحيى بن قاضي الصلت).

[184] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 291.

[185] كامل العسلي، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، ص 179-187؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 291.

[186] عز الدين ابن الأثير، **الكامل في التاريخ** (بيروت: دار صادر، 1964)، ج 11، ص 364؛ والأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، ص 142؛ وابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج 7، ص 266؛ ومجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 4، ص 96-98.

[187] كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ج 1، ص 157 (وقفية الشيخ الصلت).

[188] *Encyclopedia of Islam*, vol. 2, p. 1046.

[189] محمد محمد أمين، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر** (القاهرة: 1980)، ص 255-256؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 835-836.

[190] علي السيد علي، **القدس في العصر المملوكي**، ص 166.

[191] أطلق هذا الاسم على من يتولى مكتبة الصخرة المشرفة، انظر: **التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 892.

[192] خيال محمد مهدي الجواهري، **من تاريخ المكتبات في البلدان العربية** (دمشق: وزارة الثقافة، 1992)، ص 112-115؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 835-836.

[193] خيال الجواهري، **من تاريخ المكتبات في البلدان العربية**، ص 112-115؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 731.

[194] تاج الدين عبد الوهاب السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم** (مصر: دار الكتاب العربي، 1948)، ص 11.

[195] محمد السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 6، ص 301.

[196] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 288.

[197] **التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 731، 737.

[198] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 191، 197-198، 240-241.

[199] يحيى بن محمود الساعاتي، "الوراقة دراسة في المفهوم والمصطلح،" بحث مقدم للدورة التدريبية الدولية الأولى التي عقدت تحت عنوان صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، بدعوة من مركز جمعة الماجد للتراث، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) – الرباط (دبي: 1997/5/3-1997/5/15)، ص 104.

[200] المرجع نفسه، ص 113.

[201] برهان الدين إبراهيم بن محمد ابن مفلح، **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، تحقيق عبد الرحمن العثيمين (الرياض: مكتبة الرشد، 1990)، ج 1، ص 131.

[202] أحمد سيد دراج، **وثائق دير صهيون بالقدس الشريف**، ص 17-21؛ وفيليب دي طرازي، **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج 2، ص 476-477.

[203] فيليب دي طرازي: **خزائن الكتب العربية في الخافقين**، ج 2، ص 478-479.

[204] علي السيد علي، **القدس في العصر المملوكي**، ص 116.

[205] خيال الجواهري، **من تاريخ المكتبات في البلدان العربية**، ص 112-115.

[206] كامل العسلي، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، ص 170-178؛ و**موسوعة المدن الفلسطينية**، ص601-603؛ وأحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص 287-288.

[207] **التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 838.

[208] كامل العسلي، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، ص 170-178.

[209] أحمد الخليلي، **وثيقة مقدسية تاريخية**، ص 33-34.

[210] تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ص 11؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 837.

[211] **التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 837.

[212] فيراكوسا، "مكتبات الأديرة في مكتبة القدس وبيت لحم،" ص 40.

[213] تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ص 11.

[214] **التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 836-837.

[215] تاج الدين السبكي، **معيد النعم ومبيد النقم**، ص 11.

[216] يوسف العش، **دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط**، ترجمة نزار أباظة ومحمد صباغ (بيروت: 1991)، ص 325.

[217] أفرد الخطيب البغدادي في القسم الرابع من كتابه القيم: **تقييد العلم**، تحقيق يوسف العش (دمشق: 1974)، ص 117-150، حول فضل الكتب وما قيل فيها. ولتسجيل وقف الكتب تطلب ثلاث صيغ: كتابة لائحة بالكتب في المحكمة، وكتابة شهادات الوقف على الكتب نفسها، وكتابة صيغ تخصص لإدخال الكتب في الوقف، انظر: يوسف العش، **دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط**، ص 326.

[218] ابن الفقيه الهمذاني، **البلدان**، ص 100-101؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 891.

[219] العماد الأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، ص 142؛ وابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج 11، ص 364.

[220] أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ج 3، ص 61.

[221] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 34؛ ويوسف العش، **دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط**، ص 276-277؛ وأحمد المرعشلي وأنيس صايغ وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الأول، ج 4، ص 286.

[222] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 96؛ ومروان أبو خلف، "المتحف الإسلامي – الحرم الشريف – القدس – تاريخه ومحتوياته،" ص 308؛ وسعيد عاشور، "بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك،" ص97؛ وسعيد عاشور، **بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته**، ص 513-512.

[223] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 96-99، 179-180.

[224] **المرجع نفسه**، ص 97، 179-180.

[225] كامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 377؛ وعن المصاحف التي أوقفها سلاطين المماليك انظر: مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 2، ص 96 وما بعدها.

[226] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج 3، ص 302؛ وكامل العسلي، **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص 376؛ و**التربية العربية الإسلامية: المؤسسات والممارسات**، ج 3، ص 891؛ ويوسف العش: **دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط**، ص 277؛ وكامل العسلي، **تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص**، ص 179-187؛ وابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص 302؛ ومروان أبو خلف، "المتحف الاسلامي – الحرم الشريف – القدس – تاريخه ومحتوياته،" ص 308-310.

[227] ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج 7، ص 266.

[228] مجير الدين العليمي، **الأنس الجليل**، ج 1، ص 95-100.

[229] يوسف العش، **دور الكتب العربية العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط**، ص 276.

[230] كامل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ص 152-165.

[231] انظر: عبد الجليل عبد المهدي، **الحركة الفكرية في ظلّ المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي**، ص 270.

[232] الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، **التعداد العام للسكان والمساكن والمنشآت–2007: النتائج النهائية للتعداد، تقرير السكان، محافظة القدس** (رام الله، فلسطين: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، حزيران/ يونيو 2009)، في:
http://www.pcbs.gov.ps/Portals/_PCBS/Downloads/book1574.pdf

[233] انظر **المرجع نفسه.**

[234] **التعليم في القدس**، ص 54.

Studies on the Cultural Heritage of Jerusalem

هذا الكتاب

يعدّ هذا الكتاب أحد أبرز إصدارات الحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية سنة 2009 . وهو كتاب علمي متخصص شارك في إعداده نخبة من أبرز المتخصصين والمهتمين بالتراث الثقافي للقدس.

يسلط الكتاب الضوء على مدينة القدس بهويتها المعمارية، وأوقافها وممتلكاتها الإسلامية والمسيحية، ومكتباتها ومؤسساتها التعليمية، والدور الحضاري لعدد من أبرز علمائها، وموقعها في الموسوعات العالمية. ويدرس الكتاب دور العثمانيين في الحفاظ على التراث الثقافي للمدينة، وموقف المعاهدات والقرارات الدولية من هذا التراث. ويوضح الكتاب ما تتعرض له المدينة تحت الاحتلال الإسرائيلي من معاناة ومن إجراءات تهويد، كما يعرض للأدوار المأمولة لحماية التراث الثقافي للقدس من العالمين العربي والإسلامي ومن العلماء والأكاديميين ومن مؤسسات المجتمع المدني.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات
Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations
ص.ب.: 5034-14 بيروت - لبنان
تلفون: 644 803 1 961+ | تلفاكس: 643 803 1 961+
info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

الحملة الأهلية لاحتفالية
عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩
مركز الزيتونة
للدراسات والاستشارات - بيروت